5

دراسات عصرية
من مكتبة القذافي السياسية

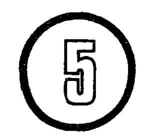
الإسلام على حقيقته



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

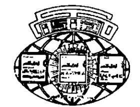
الإسلام على حقيقته

دراسات عصرية
من مكتبة القذافي السياسية



الإسلام على حقيقته

عيسى يوسف الكويتي



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

رقم الإيداع: 686

هاتف: 40705 - 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

مقدّمة

الإسلام ثورة مستمرة تتمثل فى إرساء أسس ثلاثة ثابتة ومقدسة فى الآن نفسه وهى أن: الله وحده من يأمر ويطاع، والله وحده من يبين للناس حدود أوامره ونواهيه، والله وحده من يشرع وشريعته هى التى تطاع وحدها دون غيرها... كما أن القرآن هو كلام الله، والامتثال له تلقائى وعفوى لأنه نابع من ذات الإنسان الذى خلقه الله وعلمه البيان قرآناً بلسان عربى مبين.

«الإسلام على حقيقته» كتاب يبين أن الإسلام ليس

فيه سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة، وهى سلطة خولها الله لأصغر المسلمين «يفطس» بها أنف أكبرهم، وهى ركن أساسى من أركان الإسلام، وليس فى الإسلام لأحد بعد الله ورسوله، سلطان على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه، إذ أن الرسول محمداً (ﷺ) كان مُبلغاً ومُذكراً لا مهيمناً ومسيطراً ﴿وما أنت عليهم بمسيطر﴾ ولذلك فإن المؤمن الصادق لا يمكن أن يرضى أن يكون عبداً لبشر مثله مهما علا شأنه، فالخضوع لله وحده دون سواه، أما الناس فإن أمرهم شورى بينهم.

هذا بعض قليل مما يبينه هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه، فهو يتحدث عن قضايا إسلامية كثيرة اختلط فهمها على المسلمين، وشكلت عند الكثيرين منهم محطات مهمة فى حياتهم مثل المذاهب الدينية المتعددة والمتناقضة أحياناً، ومثل موقف الإسلام من «دور المرأة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عند المسلمين»، ومثل «موقف الإسلام من التشيع

والتحزب باسم الدين». . . كل هذه وغيرها من القضايا المعاصرة للمسلمين، تجدها في كتاب «الإسلام على حقيقته». . لماذا؟ لأنه من فكر معمر القذافي، والذي قرأ واستمع لمعمر القذافي، يعرف كيف يطرح معمر القذافي أفكاره وآراءه حول القضايا المعاصرة التي تهم الإنسان، لا سيَّما الإنسان العربي المسلم الذي يعيش خيبات أمل متلاحقة تنهك قواه وتشتت فكره، وتعبث بآماله وأحلامه، وتشعره بانعدام الوزن، وتحدوه إلى البحث عن الذات الضائعة في هذا الخضم من التفكك السياسي والاجتماعي. . . ثم إنه ليس عسيراً على أي إنسان من هذه الأمة أن يدرك أن علّة هذا التخلف الذي يسود حاضرنا، ما هو إلا نتيجة حتمية لعدم فهم الدين الإسلامي على حقيقته والعجز عن استيعاب مبادئه السامية باعتبارها شريعة طبيعية للإنسان المسلم أينما كان.

إن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، إذ يقدم كتاب «الإسلام على حقيقته» ضمن

سلسلة «دراسات عصرية من مكتبة القذافى السياسية» والتى شملت حتى الآن «الاستعمار من منظور جماهيرى»، الإرهاب والإرهاب السياسى»، «الوحدة العربية» ، «الثورة وثورة الفاتح»، وغيرها ، فإنه يأمل أن تتاح الفرصة لهذه المكتبة لتشمل قضايا أخرى معاصرة مثل «العلاقات الجماهيرية بين الشعوب»، ظاهرة الإمبريالية والعنصرية والفاشية والرجعية والصهيونية، وذلك من أجل إنارة الطريق أمام الإنسان فى نضاله من أجل الحرية.

شعبة الطباعة والنشر
المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

تمهيد

من الحقائق الثابتة أن المسلمين قد واجهوا فى مسيرتهم الطويلة، أزمات عديدة، تمثلت فى فتنٍ وصراعات، أفرزت، ولا تزال تفرز حتى يومنا هذا، كثيراً من الخلافات والتناقضات التى تنهك قوتهم وتشتت شملهم، فيضحون معها دمىً ضعيفة فى يد أعدائهم . . .

ولعلَّ الصراع السياسى ـ الدينى الذى نشأ فى السنة الأربعين للهجرة، كان أوّل فتنةٍ، تنازع فيها المسلمون وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، فكان الانتصار للمذاهب منذ أول

الأمر أهم الأسباب الداعية إلى اختلاق الأحاديث المنسوبة إلى الرسول واستثمار الدين فى تغذية النزاعات الطائفية والمذهبية بهدف الاستئثار بالزعامة السياسية على المسلمين. ولقد دأب أصحاب الأهواء فى مختلف العصور على الافتراء على رسول الله (ﷺ) حتى قال عبد الله بن يزيد المقرىء: «إن رجلاً من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: أنظروا هذا الحديث عمن تأخذونه، فإنّا كنّا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً».

ومن أصحاب الأهواء أولئك الفقهاء الذين كانوا يتصدون للدفاع عن مذاهبهم زوراً وبهتاناً، فيشحنون كتبهم بالأحاديث الموضوعة، سواء اختلقوها بأنفسهم أم اختلقها الوضّاعون خدمة لهم وتأييداً لهواهم.

وأدهى من ذلك وأمر ما يضعه بعض علماء السلطة فى كل جيل تقرباً إلى الطبقة الحاكمة، وكسباً للحظوة عندها؛ لكنَّ الغريب حقاً أن بعض الزهاد والمتصوفين طوعت لهم أنفسهم وضع الأحاديث على رسول الله، أو

تفسير آيات القرآن تفسيرات تتلاءم مع ثقافاتهم المنحازة والمتأثرة بالتيارات المذهبية المتعددة. على أن اشتغال هؤلاء بالعبادة، واشتهارهم بالزهد والعفة، يحمل الكثير من المسلمين على الاغترار بما يختلقونه، فالخطر الذى يشكلونه على المسلمين من هذه الناحية أشد هولاً من أى خطر آخر. ولقد شوهوا بجهلهم وجه الإسلام، وأدخلوا فى تعاليمه ما ليس منه، الأمر الذى أدى إلى تمسّك أتباعهم من المسلمين بالقشور والابتعاد عن جوهر الدين؛ كما أدى إلى الجمود الفكرى والانحطاط، بعد أن توقفوا عن التفكير والاجتهاد ظناً منهم أنه لا زيادة لمستزيد بعد هذا الذى تركه المفسرون والمجتهدون الأوائل.

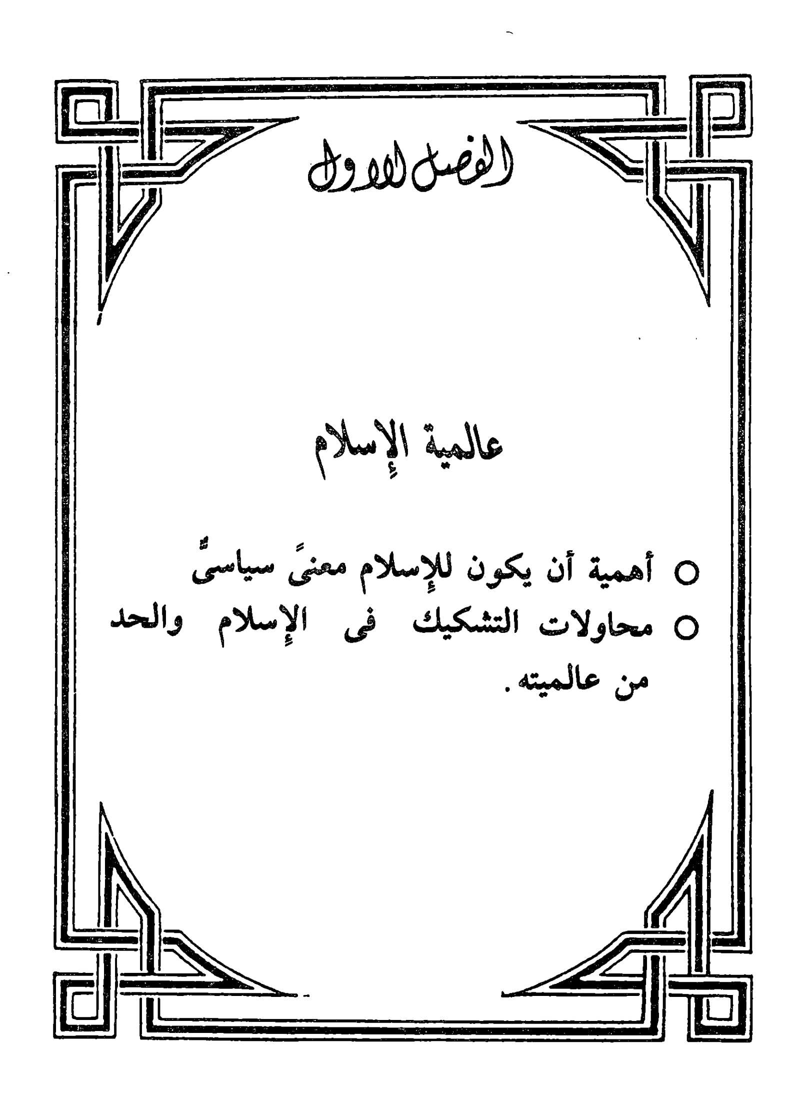
ولم يكن مختلقو الأحاديث النبوية، أو المتعرضون لآيات القرآن الكريم بالاجتهادات السطحية والتفاسير المتسرعة، وحدهم المفترين على الإسلام؛ لكنَّ سلوك المترفين من المسلمين ذوى الشأن، من ملوك وخلفاء وأمراء، فى التاريخ القديم والحديث، كان سبباً فى

اتهام الإسلام الحق بأنه دين الجوارى والحريم تارة، ودين الترف والبذخ والاستغلال والاستعباد تارة أخرى، مما أدّى إلى ارتداد الكثيرين عن الإسلام، وإقبالهم على ما شاع من مبادىء الغرب ومعتقداته وفى ظنهم أنها أساس التقدم والتطور والرقى. وأن الإسلام هو دين التخلف والجمود والانزواء.

أمام هذا الواقع، كان لا بد من وقفة جريئة تسقط كلَّ مزيف، وتحطم كل غريب دخيل، فتظهر صورة الإسلام كما هى على حقيقتها، يشع نورها الساطع، كما أرادها الله جل جلاله فى أرجاء المعمورة كلها.

وقد تجسَّدت هذه الوقفة الجريئة فى ثورة الفاتح العظيمة؛ تلك الثورة التى أنهت فترة من فترات التخاذل والتبعية وانعدام الوزن، ورفعت الشعار العظيم: «القرآن شريعة المجتمع» لتؤكد للعالم أجمع، وللمسلمين خاصة، أن بعض ما ألفوه عن الإسلام ليس سوى القشور، وأن الدين، كل الدين، فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولعلّ عنوان هذا الكتاب: «الإسلام على حقيقته» يكشف بصورة جلية مضمونه؛ إذ يسلّط الضوء على حقيقة الإسلام، وموقفه من بعض النظريات الحديثة والطروحات المعاصرة، ليؤكد بالتالى أن ثورة الفاتح تستمد غذاءها من شجرة الإسلام المباركة، فتحارب به الجهل وتدعو إلى العلم، وتقاتل بمبادئه السامية الفساد وتدعو إلى الفضيلة والخلق الرفيع، وتستلهم قيمه لتحارب الظلم وتدعو إلى العدل والمساواة، لتصل إلى مجتمع متطور متمدن، يبسط القرآن الكريم نوره على كل نواحى الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية والسياسية، فتكون للمسلمين بعد زمنٍ طويل من التفكك والتشرذم أمة واحدة.



الفصل الأول

عالمية الإسلام

- أهمية أن يكون للإسلام معنىً سياسىٌّ
- محاولات التشكيك فى الإسلام والحد من عالميته.

الدين الإسلامى بطبيعته ومبادئه وأطـروحاتـه دين شمولى عالمى جاء إلى الناس كافة . . . وأول دليل على ذلك أنه آخر الأديان السماوية، وأن محمداً هو خاتم الأنبياء والمرسلين . . . يقول سبحانه وتعالى : ﴿تبارك الـذى نـزَّل الفـرقـان على عبـده ليكـون للعـالمين نذيراً . . .﴾[1] ويقول جل جلاله : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2]؛ ولعلَّ النبى محمداً قد فسّر هاتين الآيتين الكريمتين عندما قال : «بعثت إلى الناس كافة» .

(1) سورة الفرقان ـ آية 1 .

(2) سورة الأنبياء ـ آية 107 .

وفى القرآن الكريم ما يؤكد أن عالمية الإسلام قد سبقت ظهور محمد (ﷺ) بقرون طويلة، حيث تشير بعض الآيات الكريمة إلى أن المسلمين ليسوا فقط أتباع الرسول محمد بن عبد الله (ﷺ)، وإنما هناك أيضاً أمم أخرى جاءت قبلهم فآمنت وأسلمت لله... يقول القرآن الكريم متحدثاً عن إبراهيم الخليل أول الأنبياء والمرسلين: «إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين»[1].

وفى آية أخرى يحدثنا القرآن الكريم أن إبراهيم الخليل قد أوصى أبناءه بأن يموتوا وهم مسلمون... يقول تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بَنىَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾[2].

وفى آية كريمة أخرى نقرأ دعاء إبراهيم وإسماعيل:

---

(1) سورة البقرة ـ آية 131.

(2) سورة البقرة ـ آية 132.

﴿ربَّنا واجعلنا مسلمين لـك ومن ذريتنا أمـة مسلمة لك. . . ﴾[1]. . . . كما يحدثنا القرآن الكريم عن حوار دار بين يعقوب وأبنائه إذ يقول: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[2]. . . وفى السياق نفسه نقرأ حواراً آخر فى القرآن الكريم: ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيـل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[3].

يظهر واضحاً أن هذه الآيات الكريمة، وغيرها كثير، تؤكد بما لا يقبـل شكاً أن جميـع الأنبياء والـرسل

---

(1) سورة البقرة ـ آية 128.

(2) سورة البقرة ـ آية 133.

(3) سورة البقرة ـ آية 136.

الســـابقين ومن آمن بهم من أممهم وأقــوامهم هم مسلمون، وأن الإسلام فى القرآن الكريم ينطبق على كل رسالات التوحيد؛ وقد كان دور الرسول محمد (ﷺ) أنه أكمل رسالة الإســلام التى بدأهـا إبراهيم الخليل وأتمَّها بأمرٍ من الله القائل فى كتابه العزيز: ﴿اليـــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا. . ﴾[1].

وفى القرآن الكريم نقطتان تؤيدان بشكل واضح أن المقصود من كلمة «مسلمين» فى الكتاب المبين، ليس فقط أتباع محمد بن عبد الله (ﷺ)، ولكن كل الرسل السابقين وأتباعهم:

النقـطة الأولى: إن القرآن الكـريم يجعل من الإيمان بكل الأنبياء والرسل السابقين ورسالاتهم شرطاً للإيمان بنبوة محمد (ﷺ) ورسـالته. . يقـول القرآن الكريم: ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى

---

(1) سورة المائدة ـ آية 3.

إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1].

النقطة الثانية: إن كلمة «إنسان» أينما وردت فى القرآن كانت مطلقة... فقد تحدث القرآن الكريم عن الإنسان بصورة عامة، فلم يحدده، ولم يصنفه، ولم ينسبه إلى جنس أو لون أو رسول أو دين؛ بل تحدث عنه بحيث يكون الكلام أبدياً أزلياً، ينطبق على الناس فى كل زمان ومكان: فالقرآن الكريم فى الآية المباركة: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾[2] لا يحدد إنساناً معيناً، بل يتناول الإنسان بصورة شاملة ومطلقة، وهو الأمر الذى يؤكد بشكل جلى أن الإسلام دين إنسانى عالمى...

وهكذا يتبين لنا بالدليل القرآنى أن عالمية الإسلام

---

(1) سورة البقرة ـ آية 136.

(2) سورة الأحقاف ـ آية 15.

قد سبقت بقرون طويلة ظهور محمد بن عبد الله (ﷺ). بالإضافة إلى أن الإسلام يحتوى كل الأديان والرسالات السابقة بنص الآية: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾[1].

ولقد طرح الإسلام منذ نزول القرآن على النبى محمد (ﷺ) تشريعات للإنسان تتضمن معالجات وحلولاً تتحدى النظريات القديمة والحديثة؛ وهى تعتبر بمثابة القانون الطبيعى للبشرية التى خلقها الله وهو العالم والمشرع والمدبر لقوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[2].

والإسلام، فى أطروحاته ومعالجاته، إنما هو البديل المستقبلى لكل النظريات والمبادىء الحديثة المطروحة فى الساحة العالمية، وما ذلك إلا لأنه يضع الإنسان من داخله أخلاقاً وتقوى، ويهيئه لتحمل المسؤوليات

(1) سورة المائدة ـ آية 48.
(2) سورة الملك ـ آية 14.

والانفتاح على الحياة لإقامة المجتمع الأصلح والقضاء على الطبقات الاجتماعية، ونسف الحواجز القائمة بين الأغنياء والفقراء عن طريق التشريع الإسلامى العادل فى الحق المعلوم بزكاة الأموال، وإلغاء فروقات الجنس واللون بالمساواة فى التشريع، فلا أسود ولا أبيض، ولا امرأة أو رجل فى عقوبات وجزاء... وهذا كله يحتاج إلى مؤلف خاص يظهر قدرة الإسلام وفعالية معالجاته، بحيث تتجلى عالميته فى كل شأن من شؤون الحياة وقضاياها؛ ولا تستطيع أية نظرية فى العالم بما فيها النظرية الماركسية والليبرالية أن تصمد أمام عدالة الإسلام وطروحاته.

والإسلام، إضافة إلى كل ذلك، يحتوى النظريات العلمية والطبيعية التى يدّعى الغرب أنه مؤسسها اليوم كنظريات الفلك والجاذبية والنشوء والخلق وما إلى ذلك... هذه النظريات التى استطاع المسلمون منذ زمن بعيد أن يبنوا حضارة عظيمة على أساسها، ويفردوا لها كتباً ومؤلفات عندما كانوا متمسكين بكتاب الله الكريم.

وهكذا فإن الإسلام بشموليته، عندما يُقدَّم بصورته الصحيحة ووجهه الحقيقى، يلقى قبولاً فى كل المجتمعات الإنسانية فى كل قارات العالم الخمس، حيث إن كل شعب وكل فرد سيكتشف فيه ضالته، فيطمئن بعد قلق وارتباك، ويتماسك بعد تفكك وتشرذم: ألم يدعُ القرآن فى كثير من آياته إلى التراحم والتعاضد، ويوصِ بالوالدينِ وصلة الأرحام وذوى القربى؟ أليست المجتمعات الغربية في حاجة إلى ذلك أمام ما تشعر به من تفكك اجتماعى وأسرى حادّين؟!

والدين الإسلامى يقدم للبشرية أكمل قانون لما يعرف فى عالم اليوم بالعلاقات الدولية: فالقرآن كان أول من دعا إلى نبذ أساليب العنف والعدوان، حيث يقول: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1]. . . ولا شك أن المبادىء والأهداف

---

(1) سورة المائدة ـ آية 2.

التى ترسخها هذه الآية هى الأهداف التى يجب أن تعمل من أجلها هيئة الأمم المتحدة التى تجمع جميع مجتمعات العالم.

وينادى القرآن بالحوار الهادىء المتزن لفض الخلافات والنزاعات «وجادلهم بالتى هى أحسن»[1]، ولكنه يبيح فى الوقت نفسه القتال والجهاد من أجل الدفاع عن النفس، وحماية الأرض والعرض وإعلاء كلمة الله، وذلك بإزالة العوائق المادية التى يضعها الأعداء بهدف منع المسلمين من التقدم والارتقاء فتسهل السيطرة عليهم ويهون استغلالهم وحرمانهم من خيرات أرضهم.

وينادى القرآن بعدم خرق العهود والمواثيق مهما كانت طبيعة الطرف الآخر الموقع على العهد أو الميثاق سواء كان مشركاً أو غير مشرك. ما دام محافظاً على ما

---

(1) سورة النحل، آية 125.

جاء فى نص العهد والميثاق. . . يقول القرآن الكريم:
﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤ ولاً﴾[1].

ويدعو القرآن إلى أن تحترم الأمم بعضها البعض - حيث يقول: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾[2]. أمّا حقوق الإنسان التى تدّعى الولايات المتحدة الأميريكية والدول الأوروبية الغربية اليوم حمل لوائها والدفاع عنها، فقد أرسى الإسلام دعائمها منذ عشرات القرون؛ ويكفى أن أحد كبار الذين ساهموا فى الدفاع عن هذا الدين ونشره، وهو عمر بن الخطاب، قد قال منذ فجر الإسلام: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»... هذه العبارة التى يشكل مضمونها الركن الأساسى لميثاق حقوق الإنسان كان مبعثها تعاليم الدين الإسلامى الداعية دائماً إلى أن يكون جميع الناس أخوة متحابين أحراراً لا يستعبد ولا يستغل بعضهم البعض.

---

(1) سورة الإسراء - آية 48.
(2) سورة الحجرات - آية 11.

ويمكن القول أن القرآن الكريم هو أول من جاء بفكرة الهيئات الدولية لحل مختلف القضايا بين الأمم، حيث يقول: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[2].

وعالمية الإسلام لا تتجسد فقط فى إرسائه لقواعد أخلاقية وقانونية متينة للعلاقات الدولية، بل تظهر جلية فى دعوته إلى عدم التعصب العرقى وصولاً إلى احترام الشعوب لبعضها البعض من دون تعالٍ أو تفاخر.

ولا شك أن التعصب والعنصرية هما من أكبر الآفات التى تعانى منها البشرية، وخاصة فى عالم اليوم، حيث أدت إلى فناء الملايين... فالعنصرية هى التى أدت إلى قيام الغزاة البيض الأوروبيين بإبادة الهنود الحمر من قارة أمريكا... وهى نفسها التى أدت إلى شن النازيين الحروب ضد الشعوب الأوروبية الأخرى وإبادة الملايين فيها؛ وهى ذاتها التى أدَّت إلى زرع إسرائيل فى قلب

---

(1) سورة آل عمران ـ آية 64.

العالم العربى، . . . أمّا اليوم فإن العنصرية تزعـزع الاستقرار فى المجتمعات، وتؤدى إلى تفشى الكراهية والعنف، كما يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وجنوب إفريقيا وغيرها.

والدين الإسلامى يقدم للبشرية الدواء الناجع لهذه الآفة التى تنخر فى جسدها، فهو يحضّ الشعوب على عدم العيش منغلقة على نفسها، لأن الانغلاق يولد روح التعصب والكراهية؛ داعيـاً إياهـا إلى الانفتاح على بعضها البعض لتتعارف وصولاً إلى التعاون والتعاضد والتواصل. . . يقول القرآن الكريم: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـاكم. .﴾[1]. ويبدو واضحاً أن هذه الآية تضع معياراً للأفضلية؛ وهذا المعيار ليس اللون أو الجنس أو القومية أو الوضـع الاجتماعى، بل هو التقوى والعمل الصالح الذى تعود فائدته على الناس كافة.

---

(1) سورة الحجرات ـ آية 13.

وتتجلى عالمية الإسلام فى بعده عن روح التعصب والعنصرية، فهو الدين الوحيد الذى يعترف بجميع الأديان السماوية السابقة له، وبجميع الأنبياء والرسل السابقين، بل إنه يجعل الإيمان بهم شرطاً من شروط الإيمان بالرسالة الإسلامية.

والإسلام جعل من أهل الأديان السماوية الأخرى فى مكانة قريبة من المسلمين، فلم يمنع التعايش معهم والاختلاط بهم... يقول القرآن الكريم: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾[1].

ولكنَّ هناك سؤالاً قد يفرض نفسه على القارىء: هل تتناقض مقولة عالمية الإسلام مع مقولة «أن لكل قوم ديناً»، التى وردت فى الكتاب الأخضر، وهل يمكن أن نستنتج من ذلك أن دين العرب هو الإسلام؟

---

(1) سورة المائدة ـ آية 5.

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة وجود هذا التناقض، ولكنَّ التمعن فى الأمر يكشف الحقائق سريعاً، فإذا كان لكل أمة دين، فإن دين العرب هو الإسلام؛ وإذا كان الإسلام ينطبق على العرب من حيث اللسان واللغة، فإن ذلك لا يعنى أن هذا الدين منغلق على العرب كالديانة اليهودية، لأنه يملك من الخصائص والمميزات ما يجعله مقبولاً لدى كل الشعوب؛ وقد تمثل ذلك القبول فى اندفاع كثير من هذه الشعوب إلى اعتناق الإسلام منذ ظهوره، كما حدث فى نيجيريا والفلبين. ويوغوسلافيا، وغيرها الكثير من الدول فى أرجاء المعمورة.

هذه الشعوب غير العربية، عندما تؤمن بالإسلام، فإنها تستفيد من خصائصه لتصحيح عقيدتها وحل مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسيَّة.

وإذا كان فى القرآن الكريم ما يؤكد أن الإسلام جاء إلى العرب فى المقام الأوّل: ﴿وكذلك أوحينا إليك

قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[1]؛ ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾[2]؛ فإن فيه أيضاً ما يشير إلى أن محمداً جاء نذيراً للعالمين، أي لتصحيح عقيدة الشعوب الغارقة في الوثنية سواء في ذلك الوثنية المباشرة أو وثنية التثليث وما إلى ذلك؛ ولا تناقض هنا بين الخصوصية القومية، وهي خصوصية لغة ولسان، وبين عالمية الإسلام: إذ أن لسان الإسلام عربي، ولكن مضمونه عالمى... ثم إن الإسلام لا يتعارض مع بناء الشعوب على أساس قومى منفتح على أقوام أخرى، متوحّد معها على أساس المبدأ الإسلامى؛ إضافة إلى أن كلمة «قوم» تتكرر كثيراً فى القرآن، فهو يقول: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾[3] أى أن يتعارف المسلمون مع أهل قوميات وشعوب أخرى. وليس فى هذه الآية ما يشير إلى أن

---

(1) سورة الشورى ـ آية 7.

(2) سورة فصلت ـ آية 3.

(3) سورة الحجرات ـ آية49.

اعتناق الإسلام يلغى الانتماء القومى، وإنما يحتفظ كل شعب بانتمائه القومى الذى يتمثل فى اللغة والعيش المشترك والانتماء والمصير الواحد.

ولا يُفهم بالانتماء القومى الانغلاق العنصرى والاستعلاء العرقى، فإن ذلك مما منعه الإسلام، وأمر بتركه، وإنما الذى يجب أن يفهم هو اللغة القومية المشتركة والانتماء والمصير الواحد، والذى جعل الإسلام له مكانةً باختياره لغة العرب لغة القرآن التى حفظها وحماها من التفتت والاندثار، كما حدث لبعض اللغات القديمة كاللاتينية مثلاً؛ لذا فإن الشعوب والأقوام هى بمثابة هياكل وأطر تحتاج إلى محرك يسيّرها ويوجهها، فكان الدين الإسلامى المبدأ الشامل والموجه والرابط لكل هذه الشعوب بوحدة مبدئية للأمة الإسلامية، مع احتفاظ كل شعب بخصوصيته وإذا كان غياب هذه الوحدة المبدئية قد باعد بين محمدٍ (ﷺ) وأبى لهب، وجمع وجودها بينه وبين بلال الحبشى وصهيب الرومى، فلا ننسَ أن الوحدة القومية كانت

الدعم الأوَّل لمحمد فى نشر دعوته، والأساس المتين الذى انطلق منه واعتمد عليه فى بناء قوته.

أهمية أن يكون للإسلام معنى سياسى

إن عالمية الإسلام لا تتحقق بمجرد نشر الدين الإسلامى، وتعليم الشعوب طرق العبادات الإسلامية، وتعريفها بطريق الخير والشر على المستوى النظرى الخالص... فعالمية الإسلام لن يكون لها مضمون حقيقى، ولن تكون لها فاعلية أو تأثير إلا عندما يصبح للإسلام معنى سياسى.

وللإسلام فى حقيقته معنى سياسى متأصل فيه، لا يمكن أن يُجرَّد منه؛ وإذا ما أريد للإسلام أن يفرَّغ من هذا المعنى، فإن تأثيره سيضمحل حتماً، لأن الإسلام فى جوهره سياسى... وإذا كانت السياسة لا تعنى فنَّ الممكن فحسب، بل هى رعاية شؤونٍ واهتمامٍ بالكائن الحى، فإنَّ الدين الإسلامى لا تقتصر تشريعاته على العبادات فقط، بل تتعداها، لتتناول مختلف علاقات

المجتمع الإنسانى، وهناك أدلة واضحة من القرآن تؤكد هذا المعنى، خاصة فى قوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم»[1] وقوله تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[2]؛ هاتان الآيتان، كما يبدو واضحاً، تتعرضان لمسألة الحكم، والحكم، اصطلاحاً، هو التشريع والسلطات ورسم العلاقات بين مختلف أفرادٍ المجتمع؛ وهذا كله يشتمل عليه الإسلام الذى يحض دائماً على إقامة المجتمع الديمقراطى من خلال مبدأ الشورى فى الحكم.

وإذا ما فتشنا فى أحاديث الرسول التى صحت نسبتها إليه، نجد هذين الحديثين: «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» «المسلمون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو

---

(1) سورة الشورى آية 38.

(2) سورة المائدة آية 45.

تداعت له سائر الأعضاء بالسهر. وهذا أيضاً دليل آخر على أن الدين الإسلامى فى توجهاته السياسية، لم يترك أمور الحكم وتسيير أمور الناس تتنازعها الأهواء والرغبات الشخصية، وإنما حصرها فى الجماعة الإسلامية ذاتها، تقرر عن طريق الشورى ما تراه يصلح لها وتترك ما لا يناسبها.

وهذان الحديثان إن دلا على حقيقة، فإنما يدلان على أنَّ العبادة فى الإسلام لا تتوقف على الفرائض، وإنما يتعدى مفهومها هذا النطاق الضيّق لتصل إلى جوهر التعامل بين الناس بصدق ووفاء وفى البيع والشراء، والعهود والمواثيق، وبكلمة واحدة الالتزام بحدود الله، وهذا هو مفهوم العبادة والمعنى السياسى الذى يحمله.

والأهم من ذلك أن الفرائض والعبادات التى خص بها الإسلام أتباعه تحمل فى ذاتها معانى سياسية؛ فالحج له معنى سياسى فى قوله تعالى: ﴿ليشهدوا

منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾[1]؛ وهذا يعنى أن الحج ليس فقط طوافاً أو سعياً، بل فيه أيضاً منافع للمسلمين، تتمثل بتعارفهم وتباحثهم فى قضاياهم وشتى أمورهم، وبناء علاقات فيما بينهم. . . أمّا الصلاة، وخاصة صلاة الجماعة، فهى ترمز إلى وحدة الصف والارتباط العضوى بجماعة المسلمين، وفريضة الزكاة تعتبر ولا شك عبادة ترعى شأناً اقتصادياً للمسلمين، وهى بمجملها سياسة اقتصادية فى نطاق فردى مجتمعى، تستخرج الحق المعلوم من الأغنياء لتوظفه فى خدمة أهل هذا الحق من المسلمين.

لهذه الأسباب كلها يمكن لنا أن نجزم بأنه من المستحيل علينا أن نسلخ المعنى السياسى عن الإسلام، لأننا نكون بذلك قد حنّطنا هذا الدين، وألغينا عالميته، ووضعناه فى إطار لا يتلاءم معه. ثم إن شعوب العالم الإسلامى كانت وما تزال تتفاعل مع

---

(1) سورة الحج - آية 28.

بعضها البعض من ضمن هذا المعنى السياسى لهذا الدين لولا بعض العوائق والعراقيل التى تظهر هنا وهناك من أجل تفريغ الإسلام من هذا المعنى وجعله ديناً طقوسياً كما هو دين المسيحية بعد التحريف؛ ونعطى مثلاً على ذلك إيران فى زمن الشاه «رضا بهلوى»، فلقد قام هذا النظام بعملية التغريب وسلخ إيران عن محيطها، وذلك بمحاربة الكثير من المبادىء الإسلامية وإدخال الأفكار الغربية إليها بفصل الدين عن الدولة، أى إقامة دولة ملحدة مناهضة للدين ولمعناه السياسى. فكان لا بد أن تنقطع الجسور بين الشعوب الإسلامية وبين نظام الشاه فى إيران بسبب انقطاع هذا النظام عن الإسلام وعن مدلوله السياسى.

من هنا تظهر أهمية المعنى السياسى للإسلام وفعاليته، ذلك لأنه بهذا المعنى، تصبح رابطته المبدئية هى الرابطة السياسية والروحية لأهل الدين الواحد، وهى المحتوى الذى لا غنى عنه.

وبدون هذا المعنى السياسى للإسلام، سيظل

المسلمون، يعيشون على هامش حياة الشعوب الأخرى ومبادئها، يأخذون من هذا ومن ذاك دون وعى منهم لما يحمله دينهم من مبادىء وأفكار سياسية عادلة تحفظ للإنسان حقوقه وكرامته.

محاولات التشكيك فى الإسلام والحد من عالميته:

لقد تعرَّض الإسلام فى مسيرته الطويلة لحملات عدائية واسعة تمثَّلت فى اتهامات مغرضة، استهدفت مبادىء الشريعة الإسلامية، مستنكرة على المسلمين عاداتهم وآدابهم ومعتقداتهم، واصمة إياها بالرجعية حيناً وبالجمود والركود حيناً آخر، مصوبة إليهم النقد فى كل ما يأتون، متخذة ما يعتصمون به من قول أو عمل هزءاً وسخرية.

والخطير فى هذه الحملات أنها تتسلح بعقائد وأفكار فلسفية وعلوم حديثة لتسخّرها للتشكيك فى الإسلام ومبادئه، وفى قدرته على حل مشكلات العصر ومواجهتها، وصولاً إلى تجريد العرب والشعوب

الإسلامية من عقيدتها بغية إضعافها وتشتيتها والسيطرة عليها.

وإذا كان الإسلام، منذ ظهوره، قد تعرض لعداء وهجمة حاقدين على مبادئه من أعدائه الصليبيين وغيرهم.. ذلك العداء والتشكيك اللذين وصلا إلى حد شن الحروب الصليبية، فإن الهجمة المعاصرة تبدو أكثر خطراً وأبعد أثراً، لأنها تتسلح بأسلحة قوية، كونها فى مركز علمى وتقنى متفوق على العرب والمسلمين الذين يمرون بحالة من الضعف والانحطاط نتيجة ابتعادهم عن تعاليم دينهم السياسية فى الحرية والاشتراكية والديمقراطية.

ويستخدم أعداء المسلمين أساليب عديدة للتشكيك فى الإسلام ومحاربة المسلمين، منها:

1 ـ تشويه صورة الدين الإسلامى بمختلف الوسائل الدعائية: فهم يصفونه تارة بدين الجوارى والحريم وتعدد الزوجات؛ وتارة أخرى يصفونه بالتخلف

والإسراف والكسل والتواكل؛ ويستغل دعاة هذه الهجمة ممارسات الطبقة الحاكمة المترفة فى الدول العربية الرجعية التى تعيش حياة لهو ومجون، فتهدر أموال المسلمين فى ما لا يفيد أهل البلاد ولا يرضى الله.

2 ـ تقديم نموذج الحياة الأوروبية الغربية من مأكل ومشرب ولباس وعادات وتقاليد على أنه النموذج الأفضل والأرقى الذى ينبغى اتباعه والتمسك به.

3 ـ الادعاء بعجز اللغة العربيَّة، لغة القرآن، عن الوفاء بحاجات العصر، ومواكبة التقدم العلمى، ثم الدعوة إلى التحرر من رق هذه اللغة الصعبة التى تستنزف القوى والعقول وتؤخر عن الجرى فى مضمار التمدن... ولا شك أن هذه الدعوة هى أخطر دعوات الهدم لأنها تستهدف القرآن نفسه، والحكم عليه بأن يصبح أثراً ميتاً كأساطير الأولين.

ولعلّ وقوع معظم الأقطار العربية والإسلامية تحت سيطرة الاستعمار الأوروبى الغربى منذ أواخر القرن

الماضى وحتى الستينيات منه، قد ساعد الصليبيين على تحقيق جزء كبير من أهدافهم. . . ونسمع فى هذا المجال جان بول سارتر فى مقدمة صدَّر بها كتاب فرنس فرنون «معذبو الأرض» مشيراً إلى أسلوب صناعة [المفكر الشرقى] فى الغرب ومجال استخدامه فيقول: «كنا نحضّر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من إفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام فى أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة فى الرواح والغدو، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا؛ وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربيَّة: كنا نضع فى أعماق قلوبهم الرغبة فى أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم، وأى بلاد!! كانت أبوابها مغلقة دائماً فى وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها؛ كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً. ولكن منذ أن أرسلنا [المفكرين الذين صنعناهم] إلى بلادهم، صرنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس: «الإخاء

البشرى» فيرتد رجع أصواتنا من أقاصى إفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالى إفريقيا. . . كنَّا نقول: «ليحلَّ المذهب الأوروبى والدين المسيحى محل كل الأديان المختلفة». . . وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم؛ وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء [المفكرين] لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا فى أفواههم، ونحن واثقون، لأننا نحن الذين صنعناهم بأيدينا.

4 ـ نشر الإرساليات فى كل مكان للتبشير بالدين المسيحى تمهيداً للهيمنة على الشعوب روحياً، ومحاصرة الإسلام لمنع انتشاره، ذلك أن ميزة انتشار الدين الإسلامى بسهولة ويسر. يؤرق الصليبيين ويقض مضاجعهم.

ومن المسلَّم به أن التبشير المسيحى قد استُخدم استخداماً سيئاً؛ فعندما أراد الأوروبيّون استعمار إفريقيا، فكروا فى السيطرة على شعوبها روحياً ونفسياً طريقاً للهيمنة المادية المباشرة، فاستخدمت الحكومات

الأوروبية الاستعمارية المئات من الرهبان والراهبات المسيحيين، ووجهتهم إلى القـارة السمـراء لنشـر المسيحية، ليرتبط الإنسان الإفريقى بالكنيسة الأوروبية، وبالتالى تتم الهيمنة العقلية والروحية والنفسية عليه، فيسهل عندئذٍ قيادته وتوجيهه. . . وهذا ما حدث واقعاً، إذ استطاعت هذه الكنائس أن تقوم بدور خطير فى تركيز دعائم الاستعمار وفى مسخ الشخصية الإفريقية وتراثها الوطنى، وفى تلقين الأفارقة الثقافة الغربية وتعليمهم اللغات الإنجليزية والفرنسيـة والبرتغـالية والإيـطالية، لتكون لغاتٍ بديلة للغاتهم القومية، بـالرغم من أن الإنسان الإفريقى الذى يعيش فى أدغال إفريقيا لا علاقة لـه البتة بـالدين المسيحى الـذى أرسل لبنى إسرائيل لتصحيح عقيدتهم التى حرفوها، وبالرغم من أن هذا الإنسان لا علاقة له بالثقافة الغربية ولا بمناخها، فهو أقرب إلى الدين الإسلامى بفطرته السليمة وببساطة عباداته البعيدة عن الطقوس والسرية والشموع والمياه المقدسة وما إلى ذلك من الأمور الخرافية التى لا بد

منها للقداس المسيحى حتى يستطيع أن يقنع الآخرين من حوله بأنه على حق.

ثم إن العرب هم أقرب الناس إلى الأفارقة تاريخاً ومناخاً وثقافة؛ الأمر الذى يجعل دين العرب أقرب الأديان إلى الإنسان الإفريقى... وهنا ينبغى التأكيد على أمر مهم؛ وهو أن دور الإرساليات التبشيرية المسيحية لم ينتهِ، إذ لا تزال هذه الإرساليات تقوم بدور نشط وخطير سواء فى إفريقيا وفى الأقطار الآسيوية المختلفة... ويلاحظ أن هذه الإرساليات التبشيرية المسيحية تركز نشاطها الآن بصورة خاصة ومكثفة فى مناطق التواجد الإسلامى، وما تلك المصادمات التى وقعت فى نيجيريا، حيث الأغلبية الإسلامية، بين المسلمين ودعاة الإرساليات التبشيرية المسيحية إلا خير مثال على هذه الهجمة الشرسة ضد الدين الإسلامى... وفى أندونيسيا، التى تعتبر أكبر الدول الإسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا، حيث يدين تسعون بالمائة من سكانها البالغ عددهم حوالى مائة

وأربعين مليـون نسمـة بـالـدين الإسـلامى، وضعت الإرساليات التبشيرية المسيحية خطة ترمى إلى تنصير هـذا البلد بالكـامـل خـلال خمسين سنـة. . . ومن المؤسف حقاً أن تلك الإرساليات قد حققت نجاحاً كبيراً فى أندونيسيا، إذ تمكنت من تحويل مناطق كاملة من الإسلام إلى المسيحية؛ ولعلَّ السبب فى ارتداد أهل أندونسيا هؤلاء أن الدين الإسلامى عندهم قد طغت عليه القشور، ولم يجدوا من يظهر لهم الصورة الحقيقية للإسلام.

5 ـ محاولة الهيمنة على أمة العرب وتمزيقها وفرض التخلف عليها، كى يبقى الإسلام فى الأمة العربية ضعيفاً منهكاً لا يقوى على الاستمرار والانتشار؛ فبعد الحروب الصليبية، ودحر الصليبيين من فلسطين فى عهد الأيوبيين، لم يتمكن الصليبيون من شن هجمات قوية مماثلة، لا سيما بعد قيام السلطنـة الإسلاميـة العثمانية، التى تمكنت، بالرغم من تخلفها وتخلف العرب، أن تحافظ على الإسلام والمسلمين لقرون

عـديدة من الخـطر الصليبى؛ وحين أخذت عـوامل الضعف تنمو فى ديار العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر، راحت القوى الصليبية فى الغرب تنشط للسيطرة على المنطقة العربيَّة التى بدأت تسقط تباعاً فى أيدى الاستعماريين الصليبيين. ولم تنته الحـرب العالميـة الأولى إلا وقد صار الوطن العربى بأسره تحت السيطرة الاستعمارية.

وخلال هذه الفترة من الهيمنة، لم يتوان الصليبيون عن العمل على طمس الشخصية الإسلامية عند العرب والتشكيك فى الإسلام وقـدرته على حـل مشكلات العصر، واتهامه بالعجز عن دفع العرب نحو التقدم والرقى.

وقد وصل الأمر بالقوى الصليبية إلى درجة ادعائها أن هذا القطر العربى أو ذاك ليس عربياً، وإنما هو جزء من بلادها... فإيطاليا التى احتلت ليبيا أعلنت أنها جزء لا يتجـزأ منها وأنهـا شاطئهـا الرابـع... وفرنسـا التى استعمـرت الجـزائـر أعلنت أنهـا الامتـداد الجـنـوبى

لأراضيهـا، وجندت السلطات الاستعمـارية الفـرنسية حملة كبيـرة لتنصيـر الشعب الجـزائـرى المسلم و «فرنسته»، حيث فرضت عليه استعمال اللغة الفرنسية بديلاً عن اللغة العربية الأم.

واعتماداً على المبدأ القائل: «فرّق تسدّ»، فقد لجأت القوى الصليبيَّة هذه إلى إثارة الفتن الطائفية الدينية بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين الأقليـات المسيحية المتواجدة بينهم... ولا شـك أن هـذه السيـاسـة الاستعمارية قـد وصلت إلى غايتهـا، فضعفت بلاد العرب وضعف الإسلام.

ولما كانت القوى الاستعمارية الصليبيَّة تدرك أنها ستخرج يوماً من الوطن العربى، فقد شجعت قبـل خروجها الحركة الصهيونية ومكنتها من إقامة كيان لها فى فلسطين عام 1948 قاعدة استعمارية فى قلب الوطن العـربى تعمل على مـواصلة المخـطط الاستعمـارى الصليبى الهادف إلى إذلال العرب وإضعـافهم ومنع

وحدتهم وتقدمهم، حتى لا يتمكنوا يوماً من امتلاك أسباب العلم والقوة والتقدم التقنى الحديث.

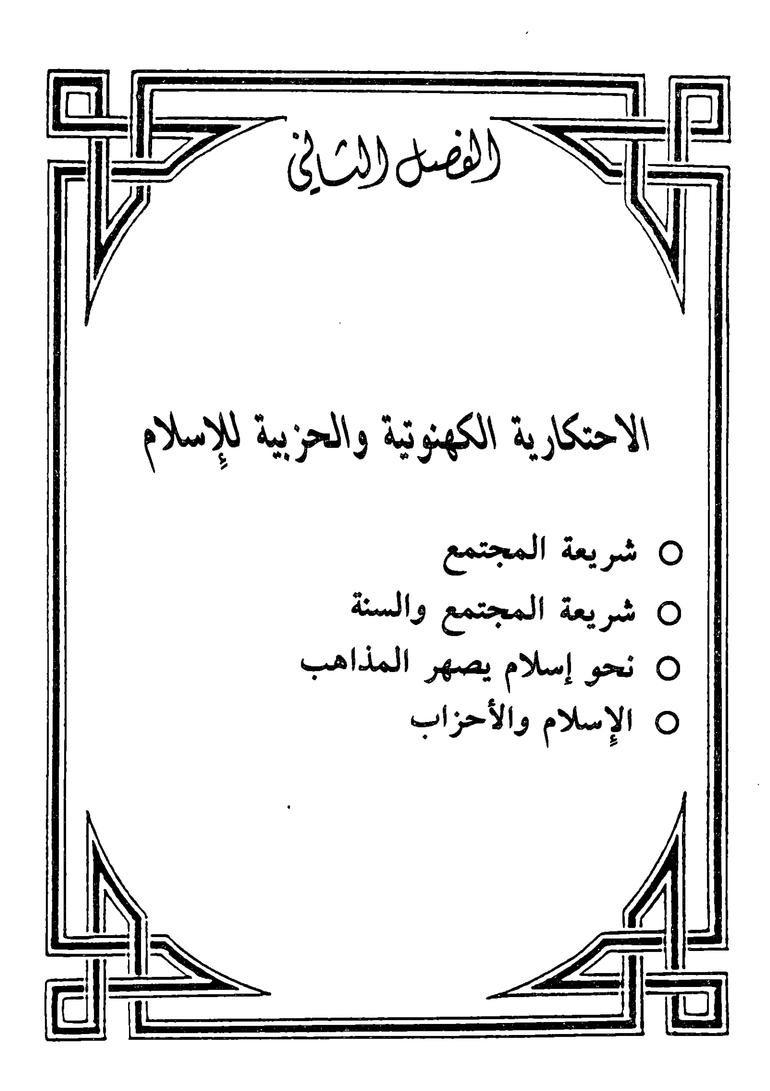
والحركة الصهيونية، التى استطاعت الاستيلاء على القدس وإحراق المسجد الأقصى، بدأت توحى بضرورة الاستيلاء على مكة المكرمة والمدينة المنورة، مدَّعية بأن إبراهيم الخليل، الذى بنى البيت الحرام، كان يهودياً، وهو ليس كذلك بنص الآية الكريمة: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾[1]؛ وقد يكون حلم الصهيونية أن تعود يوماً، كما توحى، إلى المدينة المنورة وخيبر وتبوك بحجة أن اليهود سكنوا تلك الديار العربية قديماً، وذلك فى إطار المشروع الصليبى الصهيونى لتدمير العرب تدميراً كاملاً، وبالتالى تدمير الإسلام الذى هو عز العرب والمسلمين. وحافظ تراثهم الحضارى العريق... وإذا كان هناك من يرى أن هذا المخطط خيالى، بعيد عن التحقيق، فإن قيام ما يسمى إسرائيل كان أمراً خيالياً فى يومٍ من الأيام.

(1) سورة آل عمران ـ آية 67.

6 ـ ومن الأساليب التى يتخذها أعداء الإسلام أنهم يمعنون فى قهر المسلمين واضطهادهم حيث يشكلون أقلية دينية؛ وقد يأخذ هذا الاضطهاد أشكالاً مختلفة منها: منعهم من أداء شعائرهم الدينية وحصرهم فى مناطق متخلفة تنعدم فيها الوسائل الحضارية المتطورة؛ وقد يصل الأمر إلى حد ارتكاب مجازر جماعية ضدهم كما حدث فى ظل نظام ماركوس دكتاتور وسفاح الفلبيين، حيث كانت القوات الحكومية تقوم باستمرار بحملات إبادة ضد المسلمين فى جنوب الفلبيين، لأنهم يطالبون بحقوقهم المشروعة ومساواتهم بسائر الفليبينيين فى الشمال... ولم ينته الأمر بسقوط ماركوس، فلا تزال القوات الحكومية تقوم من وقت إلى آخر بحملات مماثلة... وفى بورما، والولايات المتحدة الأمريكية يحارب المسلمون، ويُضيَّق الخناق عليهم.

إزاء كل هذا الذى يحدث للإسلام والمسلمين، فإن الواجب يحتم على العرب والشعوب الإسلامية أن

تنهض لتعيد إلى الإسلام اعتباره ومكانته، وتقف صفاً واحداً أمام الإفتراءات الصليبية والصهيونية التى تحاول أن تربك العرب والمسلمين تحقيقاً لأطماعها وتنفيذاً لمخططاتها.



الفصل الثاني

الاحتكارية الكهنوتية والحزبية للإسلام

- شريعة المجتمع
- شريعة المجتمع والسنة
- نحو إسلام يصهر المذاهب
- الإسلام والأحزاب

تعرضت تعاليم الإسلام بعد وفاة الرسـول محمد (ﷺ) لتفسيرات مختلفة، تحمل فى واقع الأمر رؤية المفسرين وفهمهم لآيات القرآن الكريم... ولم يألُ اليهود الذين اندسوا فى مجتمعات المسلمين جهداً من تغذية تلك التفسيرات بالإسرائيليات البعيدة عن المفهوم الحقيقى للإسلام؛ وكان لظهور الفرق الإسلامية إثر الفتنة الكبرى دور لا يستهان به فى ما آل إليه حال الإسلام والمسلمين، إذ أخذت كل فرقة تفسر القرآن بما يخدم رؤيتها ومصالحها وأهدافها، بل أمعنت كل

واحدة فى اختلاق أحاديث ونسبها إلى النبى (ﷺ)، وذلك من أجل تدعيم وجهة نظرها فى صراعها ضد الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى.

وكان من الطبيعى أن يؤدى كل ذلك إلى أن يختلط الأمر عند المسلمين، فابتعدوا عن الينبوع وتمسكوا بالقشور وباتوا عاجزين عن التمييز بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع، وصاروا أسرى كتب الشروح وتفاسيرها، يقدسون المذاهب وأئمتها، ويغالون فى تنزيه الأولياء وآرائهم من دون تبصر وفهم؛ وبدل أن يعرضوا القضايا والأمور، قديمها وحديثها على القرآن فيأخذون ما وافق القرآن ويرفضون ما خالفه، تهاونوا وتركوا الأمور تجرى لتتفاقم، فلم يدرسوا القرآن الكريم دراسة واعية، ولم ينظروا فى معانى آياته نظرة اجتهادية فاحصة مدققة يواكبوا من خلالها التقدم العلمى وما وصل إليه العقل الإنسانى، ويقدموا المعالجات العلمية والموضوعية والإنسانية لمشكلات الإنسان وقضاياه المعاصرة، ويقوموا بدور التوجيه نحو الأفضل،

فبقيت دراسة القرآن الكريم رهناً وحكراً على فئة خاصة من العلماء، مما أدى إلى الجمود فى تاريخ الفكر الإسلامى الاجتهادى.

ومن جراء ذلك الجمود، ومنذ بداية الصراع (الفتنة)، استفادت فرق وفئات فى تجيير هذا الصراع لمصالحها من دون اكتراث لمصلحة الإسلام، فكان لا بد من وقفة شجاعة، وهزة عنيفة، وغربلة لا هوادة فيها لنسف الأضاليل التى تركتها الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة التى علقت بالإسلام زوراً.

شريعة المجتمع

ليس فى الوجود شريعة ثابتة يمكن للفرد أن يطمئن فى ظلها على حياته وحقوقه وواجباته سوى الدين أو العرف، وقد أوضحت النظرية العالمية الثالثة هذه الحقيقة فى أطروحاتها؛ لأن الدين لا يمكن أن يكون محل تغيير أو تبديل أو إلغاء أو حذف من قبل أى حاكم

أو حكومة وأداة سلطة، كما يحدث للدساتير والقوانين الوضعية التى تتغير وتتبدل بتغير الحكومات وأدوات السلطة... ويعود ذلك إلى كون الدساتير والقوانين تعبر فى واقع الأمر عن رؤية أداة الحكم ومصالحها سواءً كانت هذه الأداة، فرداً أم طبقة، حزباً أم قبيلة... الخ.

ولمّا كانت رؤية أدوات الحكم ومصالحها وأمزجتها مختلفة، فإن الدساتير والقوانين تتغير بتغيّرها... ولا شك أن هذا هو الخطر المحدق بالحرية الكامن فى فقدان الشريعة الحقيقية للمجتمع الإنسانى، لأنها حلت محلها تشريعات وضعية وفق الأسلوب الذى ترغبه أداة الحكم فى حكم الجماهير... والأصل هو أن أسلوب الحكم هو الذى يجب أن يتكيف وفقاً لشريعة المجتمع وليس العكس.

إذن، فشريعة المجتمع ليست محل صياغة وتأليف... وتكمن أهمية الشريعة فى كونها الفيصل

لمعرفة الحق والباطل، والخطأ والصواب وحقوق الأفراد وواجباتهم، ذلك أن الحرية تبقى مهددة ما لم يكن للمجتمع شريعة مقدسة ذات أحكام ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل بواسطة أى أداة من أدوات الحكم، بل أداة الحكم هى الملزمة باتباع شريعة المجتمع .

إن الشريعة المقدسة ذات الأحكام الثابتة التى تصلح وحدها أن تكون شريعة للمجتمع، هى الدين أو العرف أو الاثنان معاً، والدين، كما هو موضح فى الكتاب الأخضر احتواء للعرف. . . والعرف تعبير عن الحياة الطبعيَّة للشعوب.

إذن فالدين المحتوى على العرف تأكيد للقانون الطبيعى؛ ذلك أن الشرائع غير الدينية وغير العرفية فى آن، هى ابتداع من إنسان ضد إنسان آخر، وهى بالتالى باطلة، لأنها فاقدة للمصدر الطبيعى الذى هو العرف والدين.

ولعلّ من الأهمية الإشارة إلى أن الكتاب الأخضر لا

يقصد بالدين الدين الإسلامى فقط، بل المقصود هو أى دين لأى مجتمع من المجتمعات: فإذا كان الإنسان مسلماً كانت شريعته الدين الإسلامى؛ وإذا كان الإنسان مسيحياً كانت المسيحية شريعته؛ الخ. . . أما المقصود بالعرف فهو ما تعارف عليه الناس فى مجتمع ما.

ولما كان الإسلام هو دين العرب والشعوب الإسلامية؛ ولما كان الدين الإسلامى هو ما جاء به القرآن الكريم، فإنه من الطبيعى أن يكون القرآن وحده مصدر التشريع، لأنه شريعة ثابتة مقدسة غير قابلة للحذف أو التغيير أو التبديل كالدساتير الوضعية.

ولكن قد يقول قائل إن القرآن الكريم لا نجد فيه أحكاماً لقضايا المجتمعات الإنسانية المعاصرة ومشاكلها، ذلك أن معظم آياته الكريمة تتحدث عن أشياء دينية بحتة: كالإيمان بالله وبوجوده ووحدانيته؛ والإيمان بالبعث والحساب والعقاب والجنة والنار، والإيمان بوجود الملائكة والشياطين وغير ذلك من أمور

لا تمت إلى ما تعانيه البشرية اليوم من مآسٍ وهموم. . . أما الأمور الدنيوية، كما يذهب بعض المشككين، فهى قليلة فى القرآن الكريم، لا تتعدى قضايا الميراث والزواج والطلاق. . . حتى العقوبات الدنيوية فهى، فى عرف هؤلاء، قليلة فى القرآن، لا تتجاوز عقوبات قطع اليد والجَلْدِ لجرائم السرقة والزنى وشرب الخمر.

هذه الإدعاءات تبدو ضعيفة الحجة، مردودة للأسباب التالية:

1 ـ إن مجموعة الأحكام الموجودة فى القرآن الكريم والمتعلقة بالحياة الدنيا، كالزواج والطلاق والنفقة والميراث والزنى والسرقة، هى أحكام حددها الله، ولا يجوز فيها الاجتهاد، ولا يجوز للمسلم تجاهلها وابتداع أحكام اجتهادية جديدة بديلة عنها.

2 ـ إن العقوبات المؤجلة فى القرآن عن الأخطاء والسيئات التى يقترفها الإنسان فى الحياة الدنيا لها

مغزى وحكمة عظيمان؛ فالقرآن فى وعده بالنعيم للذين يعملون الخير، ووعيده بالعقاب القاسى فى الآخرة لمن يعمل شراً ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[1]، يحدُّ من النزعات العدوانية الشريرة، ويدفع الناس إلى الأعمال الصالحة، الأمر الذى من شأنه أن يساعد على قيام مجتمع إنسانى فاضل لا وجود فيه لظالم أو مظلوم.

3 ـ إن فى القرآن حدوداً كلية، وحدوداً عامة، متعلقة بالحياة الدنيا، من شأنها أن تقرر ضوابط للمجتمع، وتنظم الحياة بين الأفراد: فالقرآن ينهى عن العدوان ويقول: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[2]، كما ينهى عن السخرية والتنابز بالألقاب والتجسس فيقول: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء

(1) سورة الزلزلة ـ آية 8.

(2) سورة المائدة ـ آية 87.

عسـى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم. يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1].

هذه النواهى الواردة فى الآيات الكريمة تصلح أن تكون ضوابط للعلاقة بين الأفـراد وللعلاقـة بين الدول. . . ولو التزمتها المجتمعات الإنسانية لساد الأمن والسلام.

ويذهب القرآن بعيداً فى تحديد ماهية العلاقة المادية بين الأفراد والمجتمعات فيقول: «ولا تأكلوا أموالكم

---

(1) سورة الحجرات ـ آية 11 و 12.

بينكم بالباطل﴾[1]، كما يهدد المستغلين بقوله: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[2].

وهكذا فالقرآن الكريم، بحدوده التفصيلية، ولو كانت قليلة، وبحدوده الكلية العامة المتعلقة بالحياة الدنيا، هو الشريعة المثلى للمجتمع الإنسانى... هذه الشريعة التى لا يأتيها الباطل، فلا تقبل تحريفاً أو تبديلاً، وليس من حق أى أداة من أدوات الحكم المعاصرة أن تلغى قواعدها أو تزيف فى أحكامها وفق مزاجيتها ومصالحها وأهوائها.

وهنا يتعين علينا أن نشير إلى مسألة جوهرية تتصل بالحقيقة القرآنية كونها شريعة للمجتمع الإسلامى، وهى أن الإسلام دين الفطرة ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[3]؛ وهو دين شامل لا يقتصر

---

(1) سورة البقرة ـ آية 188.

(2) سورة المطففين ـ آية 1.

(3) سورة الروم ـ آية 30.

على الجوانب الروحية كما فى المسيحية مثلاً، بل يتعدى إلى كل شأن من شؤون الحياة، فيرسم علاقات ثلاث: علاقة ما بين الإنسان وربه، وعلاقة ما بين الإنسان ونفسه، وعلاقة ما بين الإنسان والإنسان الآخر، فيكون قد أحاط بالإنسان فى أموره الروحية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ وهو بالتالى يتجاوز العلمانية ويتحداها؛ لأن العلمانية نشأت نقيضاً للدين فى أوروبا للتخلص من هيمنة الكنيسة، متسلحة بالعلم تتخذه ذريعة لتزيح من طريقها الدين المسيحى، ولتحل محله فى القيادة والسيادة؛ وقد سهل الأمر عليها، لأن الكنيسة استغلت الدين واحتكرته احتكاراً رخيصاً أدى إلى ارتداد الناس عنها؛ ولكن الإسلام دين شامل يقتحم ويتحدى، ويطرح الحلول ويتجاوز حد التوجيه الروحى، وحد القلب والإيمان إلى تنظيم الشؤون الاجتماعية والسياسية والمنافع العملية.

ومن يفهم الدين الإسلامى على حقيقته يعرف أن الإسلام لا يضاهيه مبدأ مغاير ولا دين محرف ولا حركة

فلسفية أو اجتماعية إصلاحية، لأنه يعطى حلولاً جذرية للفطرة الإنسانية تستعصى على القوانين البشرية التى يصنفها الإنسان، بما فيها العلمانية حركةً مناهضة للدين ؛ وما ذلك إلا لأن الإسلام يطرح الكلّى الشمولى، بينما تطرح المبادىء الأخرى والديانات المحرفة الجزئىَّ روحياً ومادياً؛ وهذا ما يجعل الإسلام فى موضع التحدى الحضارى لكل ما هو تجزيئى يفصل الدين عن الحياة والدولة.

يضاف إلى ذلك أن الدين الإسلامى هو البديل لكل الطروحات المادية والعلمانية والروحية، وهى تحتاج إلى الدين الإسلامى لإنقاذها وليس العكس.

ولو دُرس الإسلام بصورة صحيحة، وفهم كما ينبغى أن يُفهم، لتأكد أنه لا مجال لأن يقارن بأى من المعتقدات المغايرة له، أو أن يُعار بعض ما فيها إليه، لأن الإسلام هو الذى يغير ولا يتغير فى جميع القضايا التى تمس الإنسان أو تتعلق به.

شريعة المجتمع والسنّة:

إن شريعة المجتمع، أى مجتمع، هى الدين أو العـرف أو المصـدران معـاً؛ وشـريعـة المجتمعـات الإسلامية هي الـدين الإسلامى متجسـداً فى القرآن الكريم مصدراً للتشريع، لأنه استوعب العرف من خلال الاستدلالات القرآنية المتعددة، ومن خلال السنة النبوية التى تعنى ممارسة الرسول فى الحياة فكانت تفسيراً وتحليلاً للقرآن من جهة، ومراعية للعرف ومؤكدة على الصالح منه من جهة أخرى.

لكنَّ السؤال المهم فى هذا المجال هو: هل تجوز أن تكـون السنة النبـوية مصـدراً لشريعـة المجتمع؟ وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد قبل ذلك من الإجابة عن سؤال آخر، وهو: ما هى السنة النبوية الشريفة؟ وما الفرق بينها وبين الحديث النبوى؟.

لقد اختلط الأمر على كثير من المُحدثين، فساووا بين الحديث والسنة، يوضع أحدهما مكان الآخر: ففى

كل منهما، حسب تفسير هؤلاء، إضافة قول أو فعل أو صفة إلى النبى (ﷺ)؛ بيد أن رد هذين اللفظين إلى أصولهما يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة واصطلاحاً.

فالحديث هو اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم ما سمى به من قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبى عليه الصلاة والسلام؛ ومعنى «الإخبار» فى وصف الحديث كان معروفاً للعرب، فى الجاهلية، إذ كانوا يطلقون على «أيامهم المشهورة» اسم «الأحاديث» للاستشهاد بها والاتعاظ من أحداثها.

وكيفما قلبت كلمة «الحديث» تجد أنها ترادف «الإخبار»، وفى القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى، إذ يقول تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾[1]، ويقول تبارك وتعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾[2].

---

(1) سورة الطور - آية 34.

(2) سورة الزمر - آية 23.

أما السنة فإنها، تبعاً لمعناها اللغوى، كانت تطلق على الطريقة الدينية التى سلكها النبى (ﷺ) فى سيرته المطهرة، لأن معنى السنة لغة هى الطريقة أو الأسلوب.

وهكذا نلاحظ أن الحديث قد يشمل معناه قول النبى وفعله أما السنة فخاصة بأعمال النبى (ﷺ).

وإذا كان فى القرآن الكريم ما يوضح معنى الحديث، ففيه أيضاً ما يفسّر كلمة «السنة» يقول الله تعالى: ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾[1]، إشارة منه تعالى إلى طريقته فى تسيير خلقه.

إذن فمصطلح السنة النبوية الشريفة يعنى نهج الرسول وطريقته فى تطبيق ما أمر به الله سبحانه وتعالى ولكى تتوضح حقيقة هذا المصطلح نورد الأمثلة الآتية:

---

(1) سورة الفتح ـ آية 23.

1 ـ إن صلاة العيدين لم يرد ذكرها فى القرآن الكريم، ولكنَّ المسلمين يؤدونها باعتبارها سنةً نبويّة مؤكدة مرتين فى السنة، فى أول شهر شوال، ويوم العاشر من ذى الحجة.

2 ـ إنَّ الحج، وإن ورد ذكره فى القرآن الكريم بنص الآية: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[1]، لكنَّ الشعائر التى تمارس فيه لم تذكر فى كتاب الله الكريم: فالطواف حول الكعبة وطريقته، وتقبيل الحجر الأسود، وأسلوب السعى بين الصفا والمروة، وما إلى ذلك، اعتبر سنة نبويَّة تعلمها المسلمون من الرسول (ﷺ)، واتخذوها منهاجاً ثابتاً أثناء تأدية مناسك الحج كل عام.

3 ـ لقد فرض الله على المسلمين الصلاة ركناً رئيسياً من أركان الدين، ولكنه تعالى لم يفصل فى كتابه الكريم كيفية الصلاة: فلم يذكر طريقة الركوع أو

(1) سورة آل عمران ـ آية 79.

السجود، ولم يشر إلى عدد الركعات فى أوقاتها المختلفة، وإنما ورد ذكرها بشكل عام بعيدة عن التفصيل ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾[1].

وهكذا يتأكد لنا أن السنة النبوية تعنى الطريقة الدينية التى سلكها النبى (ﷺ) فى حياته الخاصة والعامة؛ فإذا تأكد لنا أيضاً صحة الرواية عن هذه السنّة وجب الالتزام بها جزءاً أساسياً من شريعة المجتمع الإسلامى لأنها بذلك تدخل فى إطار العرف الذى تعارف عليه الناس كافة ولا يجوز تركه. أما شروط قبول الرواية فهى كونها منطقية وموضوعية لا تختلف مع نص قرآنى ولا تنافى ما يحكم به العقل، ولا تكون عرضة لأن يختلف فيها المسلمون.

نحو إسلام يلغى المذاهب:

إن بين قضية شريعة المجتمع . وقضية السنة النبوية

---

(1) سورة البقرة ـ آية 43.

علاقة موضوعيَّة ثابتة، حيث إن السنة المؤكدة لا تخرج عن حالتين اثنتين: فهى إما جزء مكمل للدين الإسلامى ومفسّر له، أو تراث إنسانى عربى أقره الإسلام واستوعبه وأصبح جزءاً منه، وبالتالى فلا تناقض بين شريعة المجتمع والسنة النبوية لأن الأولى تستوعب الثانية وتكملها.

ولكن المسألة المهمة التى تستحق المعالجة هى مسألة المذاهب والفرق، والتى كان ظهورها بداية احتكار المعرفة الدينية ونشوء طبقة ممن يسمون برجال الدين، احتكروا وحدهم شرح المسائل الدينية والإفتاء فيها من دون غيرهم من سائر المسلمين... وقد دعمت هذه الطبقة مركزها وموقفها عن طريق الأحاديث المنسوبة إلى الرسول وغير المؤكدة فى مصدرها.

وقد كان ظهور المذاهب الدينية، والفرق مثل الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية والأشاعرة وغيرها بداية التحزب والتعصب، والابتعاد عن القرآن وجوهر

الدين، والتمسك بالقشور والجمود الفكرى: حيث الإنسان المسلم يتهرب من البحث والنقد والتفكير خوفاً من أن يتهم بالزندقة والضلال، بعد أن أصبحت المعرفة الدينية والإفتاء فى مختلف الإشكاليات حكراً على زعماء المذاهب والفرق الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن ظهور المذاهب والفرق الإسلامية كان نتاجاً من نتائج الفتنة الكبرى، حيث جاءت تلك المذاهب فى إطار التفاعلات السياسية آنذاك لتلبى أغراضاً سياسية، حتى وإن كانت بصورة خفية غير منظورة لخدمة هذا الفريق أو ذاك، أو لتدعيم موقف خليفة أو آخر.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن تلك المذاهب والفرق جاءت من جانب آخر تقليداً وتأثراً فى نشوئها ومراحل تطورها بالمسيحية واليهودية.. بل إن بعض اليهود قد اندسوا وسط المسلمين وساعدوا على قيام تلك المذاهب لتدمير الإسلام من الداخل بعد أن فشلوا قبل

ذلك فى زرع بذور الشك والريبة فى قلوب المسلمين لدفعهم إلى الارتداد عن دينهم

ومن المؤكد أن المذاهب والفرق هى بدع دخلت الإسلام بعد وفاة الرسول. . فليس فى القرآن أى ذكر لما يسمى الآن بالشيعة أو المالكية أو الشافعية أو القدرية أو المعتزلة أو المرجئة وما إلى ذلك. . فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى النبى محمد ﷺ ليبلغ الناس الرسالة ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[1] والرسالة هى القرآن الكريم والسنة النبوية فقط وليس سواهما. وعندما تم القرآن قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً. .﴾[2] وبعد اكتماله توفى النبى وقد أتم مهمته، ولم يوص بمن يخلفه، ولا بمن يجب اتباعه خلافاً لله وللقرآن لأن محمداً رسول، وليس للرسول خليفة.

ولقد حذر القرآن الكريم، وهو لا يزال فى مراحل

---

(1) سورة سبأ ـ آية 28.

(2) سورة المائدة ـ آية 3.

نزوله من مغبة ظهور أى شكل من أشكال المذهبية والحزبية، لأن ذلك من أعمال المشركين، حيث قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾[1].. وقال تبارك وتعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء﴾[2].

وبالرغم من هذا التحذير فقد ظهرت المذاهب والفرق بعد وفاة الرسول وحدوث الفتنة الكبرى لتمزق وحدة المسلمين وتفرقهم وتجعلهم شيعاً يتنازعون ويتنابذون ويتحاربون ويكفّرُ بعضهم بعضاً.. ولعل أوضح دليل على ذلك تفسير كل مذهب وكل فرقة للحديث المزعوم والمنسوب إلى الرسول ﷺ والذى قال فيه: «ستفترق أمتى ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها فى النار، إلا واحدة. قيل ومن هم؟ قال: الذين هم على ما أنا عليه وأصحابى». فقد أخذ أصحاب كل مذهب وفرقة

(1) سورة الروم - آية 31 - 32.

(2) سورة الأنعام - آية 159.

يزعمون بأنهم الفرقة الناجية من النار؛ ومصير بقية المذاهب والفرق نار جهنم... وأتوا لذلك بما زعموه أنه الأدلة والبراهين ولم يتورعوا من التماس الأدلة فى بعض آيات القرآن الكريم بتأويلها بالطريقة التى تخدم أغراضهم.

وذهب أصحاب تلك المذاهب والفرق أبعد من ذلك، بأن قاموا بوضع بعض الأحاديث، ونسبوها إلى الرسول ﷺ، وذلك فى إطار صراعهم من أجل السيطرة على الجوانب السياسية والاقتصادية والروحية لدى المسلمين. وسعى كل واحد منهم إلى تدعيم موقفه بحديث من الأحاديث، ومن ذلك ما رُوى عن النبى أنه ذم القدرية وقال: «إنهم مجوس هذه الأمة».. وما رُوى عنه أنه ذم المرجئة مع القدرية.. وما رُوى عنه أنه ذم الخوارج وهكذا. والغريب فى الأمر أن هذه الفرق والمذاهب كلها قد تكوّنت بعد وفاة الرسول، ولا يخجل أتباع هذه الفرق والمذاهب من الافتراء والكذب على رسول الله (ﷺ) مستغلين جهل الناس وعجزهم

عن تجميع أقوال النبي (ﷺ) وتوثيقها بطريقة علمية بعيدة عن الشك.

ولكن الإسلام برىء من هذه المذاهب والفرق والطوائف، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾[1] ويقول: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون..﴾[2] ويتوعد الله هؤلاء المتمذهبين المتحزبين، الذين يشيعون الفرقة بين المسلمين بعذاب أليم.

وقد يتمذهب البعض ويدخل فى طريقة من الطرق، ظناً منه أن صاحب المذهب أو صاحب الطريقة يملك عند الله مكانة تسمح له بالتشفع يوم القيامة لمريديه والسائرين على مذهبه.. وهذا بالطبع اعتقاد خاطىء، لأن آيات القرآن الكريم المعنية تتحدث بوضوح وبدون

---

(1) سورة آل عمران ـ آية 105.

(2) سورة المؤمنون ـ آية 53.

لبس. إن كل إنسان مسؤول عن نفسه يوم القيامة. وإن الله سيحاسبه مباشرة وليس عن طريق أى إنسان آخر مهما علا شأنه.. يقول القرآن الكريم: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1].. ويقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[2].. ويقول: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[3].. ويبدو جلياً أن هذه الآيات الكريمة تضع الإنسان يوم القيامة أمام ذاته، فيكافأ أو يعاقب تبعاً لما تحمله هذه الذات من فضائل أو خطايا من دون اعتبار لإيمانه بفرقة دنيوية، أو مناصرته لمذهب واعتناقه لأفكاره.

وقد يعتقد البعض أن المذاهب والفرق والطرق قد أفادت الإسلام، لأن أئمتها قد فسروا وأوضحوا معانى كانت خافية فى القرآن، ويسروا للناس فهم التعاليم الإسلامية وإشكالياتها من دون غموض أو لبس.. وهذا

(1) سورة الإسراء - آية 17.
(2) سورة المدثر - آية 38.
(3) سورة الإسراء - آية 13.

قـول مردود: لأن أئمـة المذاهب والـطرق قد فعلوا العكس، حيث إنهم عقدوا البسيط وعسّروا اليسير، وأصبح الإنسان المسلم فى حيرة من أمره. وبالرغم من أن القرآن واحد، فإن هؤلاء الأئمة قد ألفوا عشرات الكتب حول مختلف القضايا الإسلامية لتوضيحهـا، حتى أن ما ألفوه بقى غامضاً صعباً، لأنهم ابتعدوا عن الفطرة الإنسانية السليمة واعتمدوا على الصنعة اللغوية وعلم الكلام والمنطق وما إلى ذلك.

وهكذا، فلكى تفهم ما قال مالك بن أنس أو أحمد بن حنبل على سبيل المثال، تحتاج إلى قراءة عدد من الكتب المتعلقة باللغة والبلاغة، فتصوَّر كم من الوقت يحتاج المسلم العادى كى يقـرأ هذه الكتب ويفهم أطروحات كل مذهب من المـذاهب المعروفـة!!.. ولعل من المفارقة أن السواد الأعظم من المسلمين ينتمى إلى هذا المذهب أو ذاك، ثم يتحمس لمذهبه ويتعصب وهو لا يدرى الفروق بين هذه المذاهب.

وقد اختلف أئمة المذاهب فى أمور دينية كثيرة لم

يرد فى القرآن اختلاف حولها: الصلاة والزكاة والحج والزواج والنفقة والميراث، وجعلوا فهمها أكثر صعوبة وتعقيداً، مع أن بعضها كان واضحاً وميسراً فى القرآن الكريم ولا يحتاج إلى كل تلك السنوات من الجهد لشرحه وتوضيحه.

ولعل من المفارقات، أنه بالرغم من هذه الاختلافات وهذه الشروح المتباينة للقضية الواحدة، فإن المسلمين بصورة عامة يطلقون على كلام أئمة المذاهب وأفكارهم المتضمنة فى كتبهم، تعبير«الشريعة الإسلامية»، ويعتبرونها جزءاً لا يتجزأ من الدين الإسلامى، علماً بأنها ليست من الدين فى شىء، بل هى مجرد اجتهادات فكرية من قبلهم.

فالشريعة الإسلامية التى يطلقونها على اجتهادات ما يسمى بالأئمة وتفسيراتهم هى شريعة فقهية وضعية دنيوية، شأنها شأن القانون الرومانى، وقانون نابليون وغيرهما من القوانين التى وضعها الفقهاء الفرنسيون والإنجليز والطليان والألمان والعرب.. وبالرغم من أن

ما جاء به أئمة المذاهب دليل على ما قدمه المسلمون من موسوعة فقهية عظيمة للبشرية، تضاهى القوانين الرومانية وقوانين نابليون، إلا أنها ليست من الدين.. ولا تعدو كونها قوانين وضعية.. وما هو غير وضعى هو القرآن الكريم.. والمسلم الصحيح لا يعتبر غير القرآن شريعة له.. ولا يعرف غير القرآن مصدراً لمعرفته لأمور دينه.. ولا يلجأ إلى تلك المذاهب والفرق والطرق ومؤلفاتها لفهم قضايا الدين الإسلامى.. خاصة وأن القرآن عربى مبين بقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾[1].. ويقول: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[2].. هذا فى الوقت الذى يحذر فيه من تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب، حيث يقول: ﴿ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾[3].

---

(1) سورة الحج ـ آية 16.

(2) سورة المائدة ـ آية 15.

(3) سورة الروم ـ آية 31 - 32.

وهكذا، فإن ظهور المذاهب والفرق الإسلامية لم يؤد إلى تمزق الأمة العربية والشعوب الإسلامية إلى جماعات وطوائف وأحزاب متناحرة على السلطة وعلى زعامة المسلمين فحسب، بل أدى أيضاً إلى دخول المسلمين فى عصور الانحطاط والتأخر، لأن الأجيال التى جاءت بعد تكوّن تلك المذاهب والفرق قد تأثرت بتفسيرات ما يعرف بالفقهاء فتجمدت المحاولات الإبداعية عند الكثير من الشباب وأهل الإبداع الفكرى والعلمى.

والأخطر من ذلك كله أن هذه المذاهب والفرق أدت إلى ظهور طبقة من الذين يطلقون على أنفسهم رجال الدين تحتكر المعرفة الدينية وتدعى العلم فى كل جوانب الدين ولا تسمح لأحد من خارجها بالإفتاء فى أموره وقضاياه.. فكان ظهور المذاهب والفرق بداية احتكار الدين والإساءة إليه... ولا خلاص من ذلك إلا بالعودة إلى الينبوع الأصلى - القرآن الكريم - وتطهير

أذهان المسلمين من تأويلات المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة.

الإسلام والأحزاب:

إن الدين الإسلامى برىء من الدعوة إلى تفرق المسلمين إلى شيع وفرق وطوائف ومذاهب، ويحذر القرآن الكريم تحذيراً شديداً من التشيع والتفرق والتمذهب، ويعتبر ذلك من أعمال المشركين، وينذر أولئك الذين ينشرون الفُرقة بين المسلمين ويتوعدهم بعذاب أليم.

فإذا كان هذا هو موقف الدين الإسلامى من المذاهب والفرق والطوائف، فما هو موقفه من الأحزاب السياسية التى ظهرت فى العصر الحديث فى المجتمعات الإسلامية، وخاصة تلك التى يحمل بعضها برامج دينية؟

إن ما ينطبق على الفرق والطوائف والمذاهب الدينية، ينطبق أيضاً على الأحزاب، لأنها أيضاً عامل

تفرقة فى المجتمع الإسلامى، إذ إنها تؤدى إلى زرع الفتن والأحقاد والتعصب بين الأفراد وتدفعهم إلى التناحر، كل يريد إعلاء راية حزبه والوصول إلى كرسى الحكم.

والأمر الذى لا يقل خطورة أن الأحزاب السياسية التى ترفع شعارات دينية، هى أدوات تحاول احتكار الدين. فهى تدعى أنها المرجع الوحيد فى كل القضايا الدينية وإصدار الأحكام فى الإشكاليات المتعلقة بها، حيث إنها، بناءً على هذا الزعم، تكفر كل من يخرج عن نهجها وخطها، ولا تتورع من الإفتاء بإهدار دمه، فى الوقت الذى تمنح فيه صكوك الغفران لمن تشاء.. كما أنها لا تتورع من تنصيب نفسها شرطياً للإسلام، حيث إنها تستخدم كل أساليب الإرهاب زاعمة الدفاع عن الإسلام الذى يدعو فى الأصل إلى المجادلة بالتى هى أحسن، فوصل بالموعظة الحسنة إلى حدود الصين.

وبالإضافة إلى كل هذا، فإن وجود هذه الأحزاب

السياسية يُعد فى حد ذاته تناقضاً مع دعوة القرآن الكريم إلى عدم الانقسام والتفرق وإلى حكم الشورى، حيث يقــول: ﴿وأمــرهم شــورى بينهم..﴾[1].. فحكم الشورى يقتضى أن يجتمع الشعب كله فى مكان واحد ليتشاور ويتناقش ويقرر شؤونه السياسية والاقتصـادية والاجتماعية.. وعندما يكون الشعب الواحد مقسماً إلى أحزاب سياسية عديدة يكون التفرّد والاستبداد، لأن أصل العلاقة بين الأحزاب هى التنافس والتناحر، الأمر الذى يؤدى بدوره إلى تمزق الشعب.. وقد يقول قائل إن الأحزاب تتدارس أمور حياتها تحت قبة المجالس النيابية وتتشاور فى شؤون الشعب، ولكن حتى هذا الشكل، الذى يعتبر تغييباً للشعب، لا يمكن أن يُعد أسلوباً تشاورياً، ولا يدخل فى حكم ﴿وأمرهم شورى بينهم..﴾.. لأن ما يحدث تحت قبة المجالس النيابية هو صراع شديد بين حزب الأغلبية الحاكم وأحزاب

---

(1) سورة الشورى ـ آية 38.

المعارضة التى تقوم باستمرار بتسفيه برامج الحزب الحاكم وسحب الثقة منه.. وبالمقابل يحاول حزب الأغلبية الحاكم المحافظة على السلطة بكل ما يمكن.. فيلجأ إلى تسفيه برامج الأحزاب المعارضة بدوره.. كما يلجأ إلى مختلف المناورات السياسية لتشتيتها حتى لا تأتلف هذه فتكون نهايته.

إن الشورى التى يقصدها القرآن الكريم هى تشاور الشعب فى أموره السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليقرر هو بنفسه ما يريد، من دون أن يكون هناك هدف لجزء من الشعب للسيطرة على الجزء الآخر.. ولعل أفضل أسلوب لممارسة الشورى من قبل الشعب كله، هو أسلوب المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية التى يتم تكوينها فى كل قرية وفى كل مدينة ليمارس الشعب من خلالها الشورى ويحكم نفسه بنفسه.

وأسلوب المؤتمرات الشعبية ليس بالأسلوب الغريب على الدين الإسلامى، بل إنه فى الواقع مستوحى منه، على اعتبار أنه دين جماهيرى.. فجميع العبادات فى

الإسلام هى عبادات جماهيرية، حيث يجتمع المسلمون فى كل قرية وفى كل مدينة على شكل مؤتمرات شعبية لممارسة العبادات. . . فصلاة العيدين مثلاً هى مؤتمر شعبى عام، يعقد فى العام مرتين، ليناقش فيه المسلمون، إلى جانب العبادة، أمور دنياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. . والحج، بكل شعائره، يعتبر مؤتمراً شعبياً قومياً وأممياً فى نفس الوقت، حيث يجتمع المسلمون، ليس للتعبد وأداء المناسك فحسب، وإنما للتشاور فى أمورهم الدنيوية التى تشمل السياسة والاقتصاد والأحوال الاجتماعية أيضاً.

فالمؤتمرات الشعبية إذن هى طبيعة الدين الإسلامى، وهى الأسلوب الوحيد العملى لممارسة الشورى، عكس الحزبية التى تتناقض تماماً مع مبادىء الدين الإسلامى وطبيعته، وعكس ما يسمى بالخليفة أو أمير المؤمنين أو أهل الرأى والمشورة أو الصفوة والطليعة. وإذا تمعن المرء فى الأحزاب السياسية السرية والعلنية القائمة فى المجتمعات الإسلامية،

فسوف يدرك أن بعضها هو نتاج التأثر بثقافات الغرب وإيديولوجياته؛ أمّا بعضها الآخر، فيرفع شعارات دينية، ويزعم زيفاً أنه يسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، فيستغل بذلك العاطفة الدينية عند الناس بغية الوصول إلى السلطة.

فإذا تأملنا على سبيل المثال فى حزب ما يسمى بالإخوان المسلمين أو ما يسمى حزب التحرير الإسلامى، فإننا سنجد أن الأوّل، بأفكاره وأطروحاته، هو امتداد أو إحياء أو بعث لحركة الخوارج التى كانت نتيجة من نتائج الفتنة الكبرى.. فلما كان الخلاف بين أنصار هذا الفريق أو ذاك يدور حول نقطة مهمة، وهى: من أحق بالخلافة؟؛ عندها أطلق الخوارج فكرة الحاكمية لله، التى ادعت بطلان فكرة أن تكون الخلافة محصورة فى آل البيت أو فى العرب القرشيين، ونادت بأن أى مسلم عادل يستطيع أن يتولى الخلافة وأن يكون خليفة للمسلمين.

ولقد حبذت العناصر غير العربية هذه الفكرة لأنها

بفتح لها الطريق إلى السلطة. . وأخذت حركة الخوارج تستقطب العجم من الفرس والكردستان والتركمان وغيرهم من الأقليات القومية، حتى غدت حركة شعوبية بغيضة.

وتماماً مثل حركة الخوارج فإن الإخوان المسلمين يعادون القومية العربية ويحاربونها ويحاربون كل من يؤمن بها حرباً لا هوادة فيها، إذ يزعمون أن فكرة القومية العربية غير موجودة فى القرآن الكريم. . وأنها فكرة عصبية جاهلية، وهم بذلك يلتقون مع الاتجاهات الأممية الماركسية المنادية بالقضاء على جميع القوميات وانصهارها فى الأممية الشيوعية. وليس من قبيل المصادفة، أن يكون الرجل الذى أسس ما يسمى بحركة الإصلاح أو الإحياء الإسلامى الحديثة، والذى تأثر به حسن البنا، مؤسس حركة ما يسمى الآن الإخوان المسلمين، ليس عربياً، وهو جمال الدين الأفغانى من أفغانستان.

ولا يخفى على أحد أن جمال الدين الأفغانى الذى

كان ينادى بوحدة الشعوب الإسلامية ـ ويحارب فكرة القومية العربية ـ كان هو وتلميذه محمد عبده وبعض تلاميذه الآخرين. أعضاء فى الحركة الماسونية التى تعتبر أساس الحركة الصهيونية العنصرية المعادية للسامية وللعرب على وجه الخصوص. صحيح أن الحركة الصهيونية لم تكن قد تبلورت آنذاك بصورة واضحة وكما هو متعارف عليه في أيامنا هذه، من تنظيم محكم واستخدام علنى وصريح للعنف والإرهاب فى سبيل إقامة الكيان الصهيونى على الأرض العربية، ولكن من المعروف أن اليهود أعضاء الحركة [الماسونية ـ الصهيونية] يستخدمون هذه الحركة ومثيلاتها للتغلغل فى جسد القوميات والشعوب المختلفة لتفتيتها وإضعافها بمختلف الدعاوى والأفكار الزائفة من أجل السيطرة عليها اقتصادياً وسياسياً، وبالتالى توجيهها لخدمة أهداف الحركة الصهيونية وإقامة كيان بنى صهيون السياسى على أرض فلسطين العربية.

وإذا كان جمال الدين الأفغانى قد بدأ نشاطه

السياسى مصلحاً دينياً، إلا أنه كشف فيما بعد عن أهدافه فى الوصول إلى السلطة الدنيوية، حيث ارتبط بالإنجليز وأدى مهمات سرية لهم.. كما ارتبط أيضاً بدوائر السلطة العثمانية فى الآستانة متآمراً معهم ضد العرب وضد القومية العربية.

ولقد بدأت حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين نشاطها على يد حسن البنا الذى تأثر فكرياً وسياسياً بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وكانت فى بداية تأسيسها حركة دينية إصلاحية فى العام 1928 بمدينة الإسماعيلية.. وفى العام 1933 انتقل حسن البنا بحركته إلى القاهرة؛ وأدت هذه النقلة المكانية إلى نقلة نوعية فى توجهات حزب أو حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين، التى سرعان ما انغمست فى العمل السياسى المباشر هادفة إلى الاستيلاء على السلطة تحت شعارات دينية.. وكى تكون بنيتها التنظيمية قادرة على استيعاب التوجهات السياسية والاستيلاء على السلطة، فقد قامت ببناء خلايا سرية أشبه فى هياكلها

بالتنظيمات الماسونية . . وجعلت من استخدام القوة والعنف مع الشعب العربى المصرى من أهم وسائلها إلى الوصول إلى السلطة والسيطرة الكاملة على مقدرات الشعب المصرى السياسية والاقتصادية وذلك تحت دعوى الجهاد فى سبيل الله . . والغريب أن هذا الجهاد المزعوم قد مورس ضد أبناء شعب مصر العربية، علماً بأن الجهاد أصلاً لا يكون إلا ضد المشركين بالله . . ولقد أدى اعتماد حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين على العنف منهجاً فى العمل السياسى إلى قيامها باغتيال رئيس وزراء مصر آنذاك محمود فهمى النقراشى فى العام 1948 بسبب إصداره قراراً بحل تنظيم الإخوان المسلمين متهماً إياه بإعداده العدة للإستيلاء على السلطة عن طريق القوة والعنف.

ولما كان الوصول إلى السلطة هو هدف حزب أو حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين حتى ولو أدى ذلك إلى موقف متناقض مع القيم الأخلاقية الإسلامية الأصيلة، فإنها قد دخلت فى حقبة الأربعينات بمصر فى

تحالفات سياسية خاسرة، مرة مع القصر.. ومرة ضد القصر.. ومرة مع هذا الحزب.. ومرة ضد هذا الحزب، الأمر الذى يؤكد أن الذى كان يحكمها فى هذا المسلك هو المصلحة السياسية البحتة وليست المبادىء الدينية.

وبعد قيام ثورة 23 يوليو بقيادة جمال عبد الناصر، تظاهرت الحركة بتأييد الثورة فى بداية الأمر ظناً منها أنه يمكن لها أن تحتويها وتستغلها لمآربها السلطوية، ولكنها سرعان ما أخذت فى معاداتها ومحاربتها عندما رفعت الثورة العربية فى مصر بقيادة جمال عبد الناصر شعارات القومية العربية، ومحاربة الإقطاع والإصلاح الزراعى وإذابة الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، حتى وصل بها الأمر إلى محاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى العام 1954، حيث أطلق عليه أحد أعضاء حزب ما يسمى بالإخوان المسلمين النار، عندما كان الزعيم جمال عبد الناصر يلقى خطاباً فى الإسكندرية.

وإثر انكشاف أوراقها أمام جماهير مصر العربية وزعامتها الوطنية، نقلت حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين مركزها إلى سويسرا، حيث أخذت تتلقى العون المادى والمعنوى المباشر من المخابرات المركزية الأميركية ومن معظم الأنظمة العربية الرجعية. وقد تمكنت بفضل هذا العون الذى حصلت عليه من القوى الاستعمارية فى الغرب أن تعيد بناء نفسها من جديد داخل مصر بقيادة سيد قطب خلال النصف الأول من الستينيات، وأعدت خطة للاستيلاء على السلطة عن طريق العنف والقوة المتمثلة فى عمليات الاغتيال وتفجير المرافق الحكومية والأماكن الشعبية المكتظة بالناس لإحداث اضطراب فى البلاد؛ إلا أن مخططاتها قد كشفت فى الوقت المناسب بفضل وعى أبناء الشعب العربى فى مصر وتماسكه حول قيادته الوطنية. وتبرر حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين استخدامها لأسلوب الإرهاب والتفجير والتدمير مستندةً إلى أطروحاتها وتفسيراتها الخاطئة والمتعمدة لمبدأ الجهاد ضد المشركين والكفار، حيث تصنف هذه الحركة كل الذين

يناوئونها من المسلمين والعرب منهم خاصة، على أنهم كفار يجب الجهاد ضدهم!!.

وإذا كان مجرّد التسمية (الأخوان المسلمون) يدل دلالة واضحة على منطق التمييز العنصرى القائم على أساس الانتماء الدينى؛ وإذا كان الشكل التنظيمى لهذا الحزب يؤكد سعيه إلى الاستيلاء على السلطة تحت ستار دينى صرف؛ فإنه ما برح من جهة أخرى وفى كل البلدان التى انتقلت إليها عدواه، يعمل على ترسيخ مفاهيم وتفسيرات خاطئة تشوه الدين الإسلامى، وتقدمه للآخرين على أساس أنه دين التزمت الدينى والفوارق الاجتماعية الصارخة، والانكفاء، وعدم القدرة على مسايرة ركب الحضارة الإنسانية... كذلك يهدف هذا التنظيم إلى طمس كل المعالم الحضارية العربية ودور العرب المسلمين فى نشر الدين الإسلامى، بحجة انصهار العرب وذوبانهم فى الشعوب والقوميات والأمم الإسلامية الأخرى، والمناداة الزائفة بالأممية الإسلامية بغية إضعاف عوامل القومية العربية ودوره فى تماسك العرب وتقوية وحدتهم.

أما الأخطر من ذلك كله، فهو أن حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين تقوم باحتكار الدين واستغلاله، للوصول عن طريقه إلى مقاصدها الدنيوية المتمثلة فى الاستيلاء على السلطة. وهى تقوم بهذه الممارسات عبر سبل وأساليب مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر.. إضفاء القدسية على نفسها، حيث يطلق أعضاؤها على أنفسهم «جند الله» و«حزب الله» وما إلى ذلك من التسميات البعيدة عن حقيقتهم.. مدعين بأن الإسلام الحقيقى هو ما يطرحه الإخوان المسلمون؛ أما غير ذلك فكفر وجاهلية. لذلك فإنَّهم حاولوا إضفاء القدسية على أقوالهم وأفعالهم ونشاطاتهم السياسية فلم يتورعوا من تكفير كل من يعارض نشاطاتهم أو ينقدها.. ولعل أبرز دليل على محاولة حركة الإخوان المسلمين احتكار الدين بإضفاء القدسية على نفسها، هو ما أفتى به قادتها عندما قامت حكومة النقراشى فى مصر فى أواخر الأربعينيات بحل حزب الإخوان المسلمين على أساس أنه يعد العدة للاستيلاء على السلطة بالقوة والعنف.. فقد أفتت قيادة الإخوان

المسلمين آنذاك بأن «حل الجماعة يوازى إغلاق أبواب مساجد مصر بأجمعها وأن حكومة النقراشى وأتباعها كفرة ويجب الجهاد ضدهم!!».

وهكذا، فإن حركة ما يسمى بالإخوان المسلمين بأسلوب تنظيمها السرى وبوسائلها الإرهابية، هى حركة سياسية دنيوية تسعى إلى السلطة تحت شعارات دينية هى فى واقع الأمر بعيدة عن مبادىء الدين الإسلامى وجوهره.. فالإسلام لا يتناقض مع القومية العربية. ولا مع الوحدة العربية والاشتراكية.. وفضلاً عن ذلك كله فإن الإسلام لا يقر الحزبية والتشيع.. ولا يقر احتكار الدين وأسلوب العمل السرى الذى يليق بالتنظيمات الماسونية والتنظيمات السياسية الفئوية الهادفة إلى الاستيلاء على السلطة والتحكم فى الجماهير باستخدام جميع الوسائل والأساليب. كما أن الإسلام لا يقر أسلوب الاغتيالات والتفجيرات.. فالقرآن الكريم يقول: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن

المشركين﴾[1]. . وهو الذى يقول: ﴿وجادلهم بالتى أحسن﴾[2]. . وهو الذى يقول: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[3]. فأين أتباع ما يسمى بحركة الإخوان المسلمين من كل هذه التعاليم والمبادىء القرآنية الواضحة الصريحة، وأين هؤلاء من الإسلام كما أنزله الله وأمر به؟

أما حزب التحرير الإسلامى فشأنه شأن حركة الإخوان المسلمين، نشأ فى كنف الرجعية العربية ودوائر المخابرات البريطانية. .

فهذا الحزب المشبوه الذى تأسس فى العام 1948 على يد المدعو النبهانى ينادى بأفكار غريبة هدفها محاربة القومية العربية والوحدة العربية. . ولعل أخطر ما يهدف إليه هذا الحزب هو إبطال فريضة الجهاد ضد

---

(1) سورة الحجر ـ آية 94.

(2) سورة النحل ـ آية 125.

(3) سورة الشورى ـ آية 38.

الاستعمار والصهيونية، حيث يقول إنه بعد أن يتوحد المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ويختاروا خليفة لهم؛ فإن الخليفة وحده يستطيع حينئذٍ إعلان الجهاد!! ولا شك أن هذه الأفكار الغريبة المدسوسة ترمى إلى منع الأمة العربية من الكفاح ضد الذين يستهدفون احتلال أراضيها واستنزاف ثرواتها. فكم من الوقت ينبغى على الأمة العربية أن تنتظر حتى يتوحد المسلمون من طنجة إلى أندونيسيا ويختاروا خليفة ويعلنوا الجهاد ضد الصهيونية لتحرير فلسطين؟

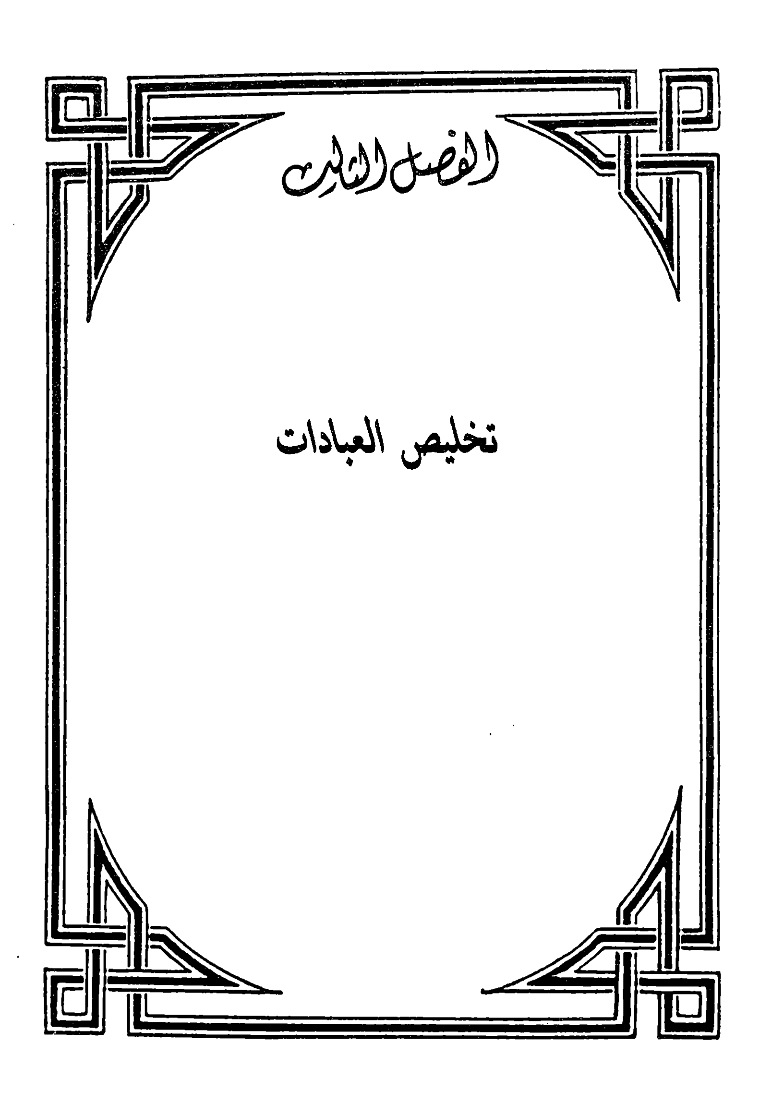
وتعتبر أفكار حزب التحرير الإسلامى هذه، حول الجهاد فى الإسلام، امتداداً للأفكار التى كان يبثها حول نفس المسألة، المذهب القاديانى الذى أسس فى إقليم البنجاب بالهند، حيث الأغلبية المسلمة؛ وكان المدعو [ميرزا غلام أحمد القاديانى] هو الذى قام بتأسيس هذا المذهب فى أواخر القرن الماضى بتشجيع خبيث وتخطيط مدروس من الإنجليز الذين كانوا يسعون إلى تمزيق المسلمين الهنود حتى لا يقاوموا الاستعمار

البريطانى.. فالجهاد فى المذهب القاديانى المذكور ليس استخدام القوة والحرب ضد أعداء الإسلام.. وإنما هو وسيلة سلمية للإقناع والتحاور بالتى هى أحسن حتى عندما يكون المستعمر يحتل الأرض ويسيطر على مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية، وما يسمى بحزب التحرير الإسلامى، قد حذا هذا الاتجاه فى التعامل مع الاستعمار وفى النظرة المختلفة للمسلمين الذين هم خارج هذا الحزب.

إن النتيجة التى يمكن أن يخرج بها المسلم من جملة تاريخ هذه الحركات والأحزاب الدينية المتطرفة، هى أن المذاهب الإسلامية والأحزاب التى تتستر بشعارات دينية، هى شكل من أشكال احتكار الدين لصالح فئة تحاول أن تُضفى على نفسها وأقوالها وأفعالها نوعاً من القدسية الزائفة، زاعمةً أنها الوحيدة المؤهلة للنظر فى القضايا الدينية والإفتاء والبت فيها..

وبالإضافة إلى ذلك فإن المذهبية والحزبية هى ابتعاد عن القرآن الكريم وتمسك بالقشور، فضلاً عن أنها

مناقضة لمبادىء الدين الإسلامى، حيث يشير القرآن إلى أن التحزب والتشيع والتمذهب هى من أعمال المشركين والشياطين، وينذر المتحزبين والمتشيعين بعذاب أليم.. من هنا فإن أسلوب الحكم الوحيد الذى يقره الدين الإسلامى، هو حكم الشورى، بحيث يحكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق التشاور والتحاور من دون تسلط أحد عليه.. وغير هذا الأسلوب فى الحكم لا وجود له فى القرآن الكريم.. أما المرجع الوحيد للمسلمين لمعرفة أمور دينهم فهو القرآن الكريم.. ولا شىء سواه.



الفصل الثالث

تخليص العبادات

دخل في مجال العبادات الإسلامية الكثير من التحريفات والتشويهات والخرافات، حيث ابتعد المسلمون عن جوهر الدين الإسلامي وأخذوا في السير على طريق الانحراف في هذه العبادات وتشويهها.

وتعتبر هذه التحريفات التي دخلت في مجال العبادات الإسلامية إفرازاً طبيعياً لما ذهبت إليه الفرق الإسلامية التي احتكرت تفسير الدين، وابتعدت وأبعدت المسلمين معها عن القرآن، وأحلت محله تفسيراتها وشروحاتها وتصوراتها الخاصة عن مختلف

المسائل الدينية وتأويلاتها لآيات القرآن الكريم اعتماداً على الصنعة اللغوية وعلم الكلام والفلسفة الإغريقية، الأمر الذى أدى إلى أن يعلق بالإسلام الكثير من المفاهيم والممارسات الخاطئة التى كانت سبباً فى النفور من الإسلام ذاته من قبل غير المسلمين، وسبباً فى الابتعاد عن تعاليمه من المسلمين أنفسهم. كما أدى ذلك إلى الجمود الفكرى والخوف من البحث والنقد فصار المسلمون أسرى الخرافات، والأفكار المضللة والعادات المنحرفة.

ولعلَّ أخطر مظاهر البدعة والمغالاة ما استعمله المسلمون فى عصور الانحطاط التى مرت بهم من مفردات وألفاظ تفخيمية وتعظيمية فى شأن أئمتهم وعلمائهم، مما لم يكن مألوفاً أو وارداً فى صدر الإسلام، حيث إن الهالة التى أضفوها عليهم أظهرتهم وكأنهم أنصاف إله؛ أما المسلمون الذين يصفون رسولهم ببعض الصفات، فليس بينهم مسلم واحد يعتقد بالرسول محمد (ﷺ) كما يعتقد النصارى فى

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ ذلك أن المسلم يعلم بأن الرسول (ﷺ) هو من البشر، وأنه هو القائل: «ما أنا إلا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»؛ وهو القائل أيضاً: «لا تعظمونى كما تعظم العجم ملوكها»؛ أمّا بعض النعوت التى يطلقها المسلمون على نبيّهم من مثل قولهم: خاتم النبيين، أعز المرسلين، سيد المرسلين، فإنها لا تدل فى أى حال من الأحوال على صفات إلهية، وإنما تدل فى مصطلح مستعمليها على سيادة التشريف ورفعة المقام، خاصة وأن الله قد رفع ذكر الرسول بنص الآية الكريمة: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[1].

لذلك لا بد للمسلمين، فى وصفهم لأئمتهم وعلمائهم، من الامتناع عن أية أوصاف تحمل معانى لا تصح إلّا لله؛ أمّا فيما خص وصف الرسول فينبغى التأكيد باستمرار على أنه نبى يوحى إليه وليس بشاعر

---

(1) سورة الشرح ـ آية 4.

ولا ساحر ولا فيلسوف ولا مفكر، كما يحاول أعداء الإسلام إضفاء هذه الصفات عليه وترويجها لإبعاد صفة النبوة عنه.

ومن مظاهر الانزلاق نتيجة اتباع بعض التيارات الدينية المتطرفة، ترك القرآن والتمسك بالحديث وتقديسه ووضعه فى مرتبة واحدة مع القرآن، علماً بأن النبى محمداً نفسه (ﷺ) كان يقول إنه يتبع فقط ما يوحى إليه من قرآن، ولم يقل فى يوم من الأيام: «اتبعوا أقوالى وأحاديثى». . . يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتّبع إلا ما يوحى إلىّ وما أنا إلا نذير مبين﴾[1].

ومن مظاهر الابتعاد عن جوهر الدين الإسلامى عدم فهم المسلمين لمعنى العبادة، وكأن العبادة هى فقط فى تأدية الفرائض التعبدية فحسب من دون معرفة أن العبادة هى فى إطاعة المسلم لأحكام الله فى الأمر والنهى؛

(1) سورة الأحقاف ـ آية 9.

فإذا كانت العبادات لها جوّها الروحى، وهى خالصة لله، وتمارس فى أماكن العبادة، فإن العبادة أيضاً هى معرفة شؤون الدنيا والاهتمام بها عن طريق أوامر الله ونواهيه، ومن خلال إدراك حلال الله وحرامه، وذلك يتطلب تنشيط دور المساجد فى توعية المسلمين على قضاياهم الحياتية المرتبطة بعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية وكيفية معالجتها بروح جماعية كما أمر الإسلام.

وأبرز الأمثلة على جماعية العبادات فى الإسلام، ودورها فى تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين، هى فريضة الحج كونها مؤتمراً إسلامياً عالمياً يبحث المسلمون فيه شؤونهم، ولهم فيها منافع ترتبط أيضاً بالعبادة، لأنها لا تخرج عن كونها فى صالح الإسلام والمسلمين.

ولعل ما يستوجبه الدين الإسلامى تشجيع الناس على أداء الصلاة بأسلوب جماعى وفردى فى الآن نفسه؛ وهنا تقتضى الضرورة الابتعاد عن التزمت

والتعصب، فإذا كان هناك إنسان ما يصلى من الفرائض الخمس فريضة واحدة أو فريضتين فيجب أن ينصح لكى يكمّل باقى الفرائض الأخرى لا أن يقال له.. إما أن تُصلى الفرائض الخمس وإما أن تترك الصلاة بكاملها!.

فقد يبدأ هذا الإنسان بفريضة أو بفريضتين ويتعود على الصلاة فيصلى بعد ذلك جميع الفرائض.. ومن يصل فريضة واحدة خير ممن لا يصلى على الإطلاق.. وهذه بالطبع ليست دعوة إلى ترك الفرائض الخمس، كما يحاول أن يصوره بعض المغرضين، ولكنها دعوة لتشجيع الناس على الصلاة.. فالصلوات الخمس مفروضة ولا أحد يستطيع أن يلغيها.

وقراءة القرآن يجب أن تكون كذلك خالصة خاشعة، بحيث لا يقرأه المسلم كما لو كان يقرأ فى صحيفة أو كتاب عادى، بل عليه أن يتوقف ويتأمل ويدرس معانى الآيات ودلالاتها ويتفكر فيها ليعمل بها... فالكثيرون يفاخرون بأنهم ختموا القرآن عدة

مرات فى الشهر أو فى السنة وفى الواقع أن قراءة هؤلاء للقرآن لا تعدو كونها مطالعة سريعة بدون تفكر وتأمل ودراسة.

أما فيما يتعلق بأماكن العبادة، فينبغى أن تكون فقط لذكر الله سبحانه وتعالى، وللدعوة له، لا لأحد غيره، بنص الآية الكريمة: ﴿وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[1]؛ وهذا يتم عن طريق الدعوة إلى الإسلام، وتوعية الناس على أساسه، وتذكيرهم الدائم به وبأحكامه، حتى لا يخرج المسلمون عن طاعة الله فى أمر من أمور دينهم ودنياهم، ولا أن يدعوا لزيدٍ أو لعمروٍ من الناس حاكماً كان أم غير حاكم إذا لم يكن الأمر كله عائداً لله؛ وخاصة حين تتمعن ببعض الخطب التى تلقى فى المساجد والتى من خلالها تمجّد الحكومات والرؤساء.

لهذا لا بد من فهم معنى العبادة ومعرفة دور

---

(1) سورة الجنة ـ آية 18.

المساجد فى بلورة هذا المعنى بالتزام خط الإسلام فى مفهوم العبادة والدعوة لله الواحد عن طريق توعية الناس على دينهم الذى يعالج قضاياهم ويعطيها الحلول الناجعة.

إن تصحيح العبادات الإسلامية مما شابها من تحريفات وتشويه يستلزم التمسك بالقرآن والابتعاد عن البدع والتفسيرات الخاصة والاجتهادات الفكرية التى جاء بها أئمة المذاهب وغيرهم.. فعلى سبيل المثال لا الحصر.. يقول هؤلاء الفقهاء أنه يجوز للإنسان أن يفطر فى رمضان إذا كان مسافراً ومدة سفره ثلاثة أيام أو أكثر فقط.. وحددوا المسافة بابتعاده عن مدينته أو قريته مسافة خمسة وثمانين كيلو متراً.. وبالطبع إن هذه تفسيرات واجتهادات خاصة، فالقرآن لم يحدد عدد الكيلو مترات أو عدد الأيام، بل قال إن الإنسان يجوز له أن يفطر فى رمضان إذا كان مسافراً.. حيث يقول: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أُخر﴾ والسفر هنا مطلق وليس محدداً بمسافة معينة.. ومعنى ذلك أن الإنسان الصائم يستطيع أن

يفطر خلال سفره متى ما شعر بالتعب وبعدم القدرة على الاستمرار فى صيامه سواء كان ذلك بعد عشر كيلو مترات أو خمسمائة كيلو متر.. فليس فى الإسلام عسر، إنما هو دين يسر.. ولعل هذه هى إحدى خصائصه المهمة البارزة.

ومن الأمور الدخيلة على الإسلام تلك العادات الاجتماعية السيئة التى تتعارض مع مبادىء الدين الإسلامى وجوهره.

فمن العادات الاجتماعية السيئة التى ينبغى محاربتها والتخلص منها، هى عادات البذخ والإسراف والمغالاة فى إقامة الولائم وتقديم الهدايا سواء كان ذلك فى حفلات الختان أو استقبال الحجيج أو الزواج الذى أصبحت مهوره وهداياه المطلوبة عائقاً أمام الشباب لتحصينهم من الفساد.

ولا يعنى هذا بالطبع عدم إقامة مثل هذه الاحتفالات فقد أصبحت هذه الاحتفالات فى المناسبات المذكورة عادات اجتماعية لا يمكن إلغاؤها أو شطبها بسهولة،

ولكن المطلوب هو الاعتدال والتبسط وعدم المغالاة والتباهى.. وعدم الإسراف والبذخ وإهدار الأموال فى ما لا يفيد... فالقرآن الكريم يضع المبذرين فى مرتبة الشياطين.. حيث يقول: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين..﴾[1].

هذا بالإضافة إلى ما يخلقه البذخ والترف والإسراف والتباهى فى المناسبات الاجتماعية المذكورة من أحقاد وتنافس غير محمودة، حيث يحاول غير القادرين على تقليد الميسورين مادياً فى المغالاة فى إقامة الولائم وتقديم الهدايا فيتورطون فى الديون والقضايا، الأمر الذى ينهى عنه القرآن حيث يقول: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها...﴾[2].

ومن المفاهيم والعادات الدخيلة على الإسلام، والتى تنحرف عن السبيل السوى، المغالاة فى زيارة الأضرحة والتبرك بها وتقديم النذور من ذبائح وغيرها..

---

(1) سورة الإسراء ـ آية 27.

(2) سورة البقرة ـ آية 286.

والتردد على الأولياء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية تلمساً وتقرباً إلى الله عن طريقهم وبحثاً عن المدد والطمأنينة والأمان أو للحصول على بعض الرُّقيات المكتوبة التى يزعمون أنها تحفظ من الشر. .أو تضمن عدم ابتعاد الزوج عن زوجها. . أو تأتى ببعل لفتاة عانس وما إلى ذلك من الخرافات التى ليس لها أساس فى الدين الإسلامى.

ومن الواضح أن الذين يوهمون الناس بفعالية هذه الأساليب، إنما يمارسون الدجل والتضليل للارتزاق من مال الناس. . وهم بذلك أبعد ما يكونون عن الدين الإسلامى الذى يحض على العمل المنتج والدعوة النافعة ويرفض القعود عن العمل والتفرغ إلى العبادة فحسب ولعل تلك الحكاية التى تتلخص فى أن عمر بن الخطاب سأل عن رجل فقيل له إنه يواصل ليله بنهاره فى التعبد. . فقال: من يطعمه؟ فقيل له: أخوه يطعمه. . فقال: إن أخاه أفضل منه، لعلَّ تلك الحكاية تؤكد بما لا يقبل الشك أن السعى والمجاهدة فى طلب الرزق يعتبران مظهراً كريماً من مظاهر التعبد والتقوى.

ولقد أشار القرآن الكريم إشـارة واضحة إلى رفضه لـلإتكاليـة وتفضيله العمل والجهـاد والكفاح، حيث يقول: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستـوون عند الله..﴾[1].. ويعنى ذلـك أن الـذين يكتفون بخدمة بيت الله، فيعتبرون أنفسهم فى قمـة العمل فى سبيل الله، يعتبرون عند الله فى منزلة أقل بالنسبة لأولئك الذين يجاهدون ويكدون ويعملون.

لذلك فإن هذه الممارسات والمفاهيم المنحرفة قد دخلت الإسلام فى عصور الانحطاط؛ ولا شك أن المسلم الصحيح يرفضها، لأنه يؤمن بأن أى إنسان لا يستطيع أن يتدخل ليغير ما هو مقدر له... ويؤمن بأنه لا يحتاج إلى أحد غيره ليكون له شفاعة عند الله؛ ذلك أن صلة المؤمن بالله مباشرة، بل يحتاج إليه فى الإرشاد والهداية، وإن تكن الشفاعة محفوظة لمن يـأذن له الرحمن ويقول صواباً.

---

(1) سورة التوبة ـ آية 19.

والمسلم الصحيح يرفض كل تلك الممارسات والمفاهيم الخاطئة، لأنه يدرك أن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، وأن المؤمن العارف بدينه، الواثق بالله، يستمد المدد من ربه ولا يطلب المدد من غيره، لأنه يدرك أن الإسلام هو دين الكفاح والعمل، وليس دين التواكل والتخاذل.

من هنا أطلقت ثورة الفاتح العظيم فكرة الراهبات الثوريات، فما هى حقيقة هذه الفكرة؟

إن ثورة الفاتح، من موقع رفضها للممارسات المنحرفة والمفاهيم الخاطئة فى الدين الإسلامى، قد دعت إلى تنوير المجتمع الإسلامى وتحريكه فى اتجاه الإسلام الحقيقى الخالى من هذه التحريفات التى علقت به عبر تاريخه الطويل، فحرضت على نبذ الاتكالية وروح التقاعس، ونادت بأن يأخذ كل من الرجل والمرأة دورهما الإنسانى فى الحياة لخدمة المجتمع من خلال وجهة النظر الإسلامية، كما أكدت

على دور المرأة فى أن تكون عضواً عاملاً وفاعلاً ومؤثراً فى بناء المجتمع وتقدمه.

وليست فكرة الراهبات الثوريات إلا صورة عما يجب أن تكون المرأة المسلمة عليه، لترك بعض ما كانت تعيشه فى الماضى من انغلاق وجهل، مع ترك بعض الجديد الذى يحمل معه الانحلال الأخلاقى والتبعيَّة الزائفة للغرب فى أساليبه المدمرة الفاسدة، ولتجاهد وتضحى خدمة لعقيدتها، ولتعطى الصورة المشرقة لدينها الإسلامى ومبادئه الإنسانية؛ فإذا كانت حركة الراهبات المسيحيات تقدم الخدمات الجليلة فى مختلف أنحاء العالم، حيث تذهب الفتيات المسيحيات إلى أدغال إفريقيا وأقاصى آسيا وأمريكا اللاتينية للمساعدة ومعالجة المرضى، فإنها ولا شك تجسّد بهذا الدور روح مسيحيتها فى عالم الغرب المادى الملحد؛ وهذا بحد ذاته يعطى معنى جديداً للرهبنة البعيدة عن الاتكالية والانقطاع للعبادة دون العمل المفيد.

وبالمقابل فإن الفتيات المسلمات عندهن المجال

الأرحب فى العطاء والفداء والتضحية، لأن الإسلام يقرن العبادة بالعمل الصالح، ويجعل المسلمة أشد حباً للقيام بالمهام التى يحتاجها المجتمع الإسلامى منها، لخدمة المثل العليا للإسلام، متحررة من كل الجمود والتخلف والجهل الذى يمقته الإسلام بكل صوره.

وهنا يجب التوقف عند نقطة مهمة وهى موقف الدين الإسلامى من الرهبانية... وفى واقع الأمر، فإن الإسلام لا يعارض الرهبانية بمفهومها الصحيح؛ فقد تعود المسلمون أن يسمعوا عبارة «لا رهبانية فى الإسلام»... وهذه العبارة لا أساس لها من الصحة.. وليس من المعروف كيف جاءت ومن قالها، بالرغم من أن البعض يزعم أنها حديث من أحاديث الرسول.. فإذا تأملنا فى ما يقوله القرآن بهذا الصدد، نجده لا يعترض على الرهبانية من حيث المبدأ، حيث يقول فى سورة الحديد: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون. ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن

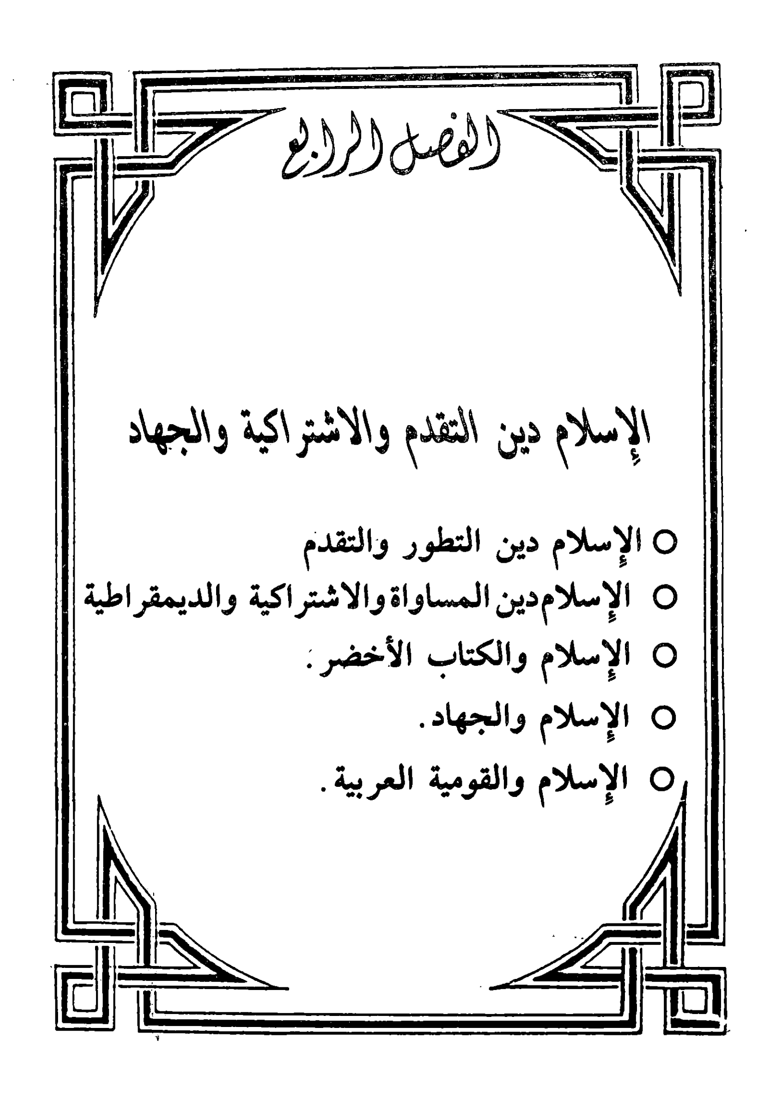
مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾[1] . . فقد يحاول نفر من الذين يأخذون جزءاً من آية معينة ويفسرونها بدون الجزء الآخر من الآية، أن يقول إن القرآن ضد الرهبانية لأنه يقول: ﴿رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ ولكن إذا وقفنا وقفة متفحصة عند مجمل الآية، سنجد أن القرآن لا يؤاخذ أولئك الذين ترهبنوا لأنهم ترهبنوا، ولكن لأنهم لم يرعوا هذه الرهبنة حق رعايتها . . والقرآن يؤكد أن الله لم يكتب عليهم الرهبنة، لأنها شاقة وصعبة، ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله . . وهذا لا شك هدف عظيم لو رعوها حق الرعاية . . وتشير هذه الآية القرآنية إلى أنّ الله قد أثاب أولئك الذين كانوا صادقين منهم . . حيث تقول الآية: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾.

---

(1) سورة الحديد ـ آية 26 - 27.

وهكذا، فإن الدين الإسلامى لا يعترض على الرهبانية من حيث المبدأ شريطة أن تُرعى حق رعاية، بحيث تكون لخدمة المثل العليا، مرتبطةً بالنشاط والعمل الصالح المفيدين للإنسانية، وذلك لوجه الله تعالى.

نخلص من كل ما سبق إلى أن تخليص العبادات الإسلامية من المفاهيم الخاطئة التى علقت بها فى عصور الانحطاط التى خيمت على المسلمين ردحاً من الزمن بسبب احتكار الدين من قبل المذاهب والفرق الإسلامية، هو ضرورة ملحة من أجل إعادة الأمور إلى نصابها والقضاء على احتكار الدين؛ فيعود المسلمون إلى الينبوع الأصلى الذى هو القرآن الكريم مصدراً وحيداً لمعرفة قضايا الدين الإسلامى.



الفصل الرابع

الإسلام دين التقدم والاشتراكية والجهاد

- الإسلام دين التطور والتقدم
- الإسلام دين المساواة والاشتراكية والديمقراطية
- الإسلام والكتاب الأخضر.
- الإسلام والجهاد.
- الإسلام والقومية العربية.

الإسلام بطبيعته ثورة دائمة وشاملة، وهو منبع كافة النظريات الحديثة التى تدعى العلمية وتحقيق المساواة؛ فالإسلام قد سبق كل تلك النظريات فى الدعوة إلى العدالة والاشتراكية والمساواة والسلام والتطور. . ولكن تقهقر الإسلام جاء من تقهقر المسلمين، وعدم تمسكهم بالمعانى الصحيحة للإسلام، وأخذهم بالمعانى الرجعية التى أضفتها القوى الرجعية على الإسلام، وتفسيرها له تفسيراً متخلفاً عقيماً يخالف سنة التطور والتقدم.

الإسلام دين التطور والتقدم:

إن التفسير المتخلف للإسلام والمعانى الرجعية التى أُدخلت عليه جعل البعض يعتقد أن الدين الإسلامى دين متخلف رجعيٍ، لا يستطيع مواكبة تطور الحياة. وأنـه يفرض قيـوداً على أتبـاعـه إلى درجـة سلبهم حريتهم... والذى ساهم فى تكوين هذه النظرة حال الإسلام والمسلمين اليوم إذ نجدهم قد تعلقوا بالقشور وطـرحـوا مبـادىء رجعيـة مخـالفـة لحقيقـة الـدين الإسـلامى... كما نـلاحظ أن الممارسـات السلبيّة القـائمة على العـداء للروح العلمية أمـر منتشر فى المجتمعات الإسلاميـة، حيث يوجـد من يقول: إن البحث العلمى حرام والاجتهاد حرام. والثورة حرام.. والإبداع حرام، والفلسفة حرام... الخ.

وهـذه الحالـة التى ورثها المسلمـون من عصـور الانحـطاط التى مرت بهم والتى كـرستها الخـلافـة العثمانية، وجذّرها الاستعمار الصليبى، هى التى دفعت بالكثيرين مَن شباب هذه الأمة إلى الشك والتساؤ ل:

لماذا تخلفت الأمة الإسلامية عن ركب الأمم المتقدمة؟
أتكون العلّة فى الإسلام؟

إذا كان التساؤل الأوّل له ما يبرره؛ فليس للسؤال الثانى أى تبرير. . وللإجابة عن هذين السؤالين فإنه من الأجدى تسليط الضوء سريعاً على ماضى هذه الأمة وحاضرها، لنتمكن بعد ذلك من وضع اليد على العلة التى سببت الانحراف وأثمرت التخلف.

إن المتأمل فى حال هذه الأمة يلاحظ أنها تجتاز مرحلة من أصعب مراحلها دقة وخطورة، فالتيارات الاستعمارية المختلفة تتقاذفها، والنزعات المتباينة تتجاذب نواحى حياتها، فصارت فرقاً متنازعة وأحزاباً متناحرة.

لكنَّ العامل الأكبر فى هذه الفوضى الصاخبة التى تجتاحنا يكمن فى عدم فهمنا لديننا الإسلامى فهماً صحيحاً، وعدم التزامنا بمبادئه التزاماً صادقاً بعيداً عن الأساليب الشاذة المنحرفة، وليس صحيحاً ما تعلو به أصوات المغرضين من أن أسباب التخلف إنما تعود إلى

عدم قدرة الإسلام على استيعاب الحياة الجديدة، ومسايرة الركب الحضارى، فالإسلام دين يواكب التطور والتقدم، ويحث على السعى نحو الأحسن والأقوم دائماً، وهذا أمر ثاتب وجلى فى مبادئه وتعاليمه، فهو بمبادئه يحارب الظلم والاستعباد ويدعو إلى العدل والتحرر، وبمبادئه يحارب الترف والبذخ ويدعو إلى الاعتدال، وبمبادئه يحارب الفساد ويدعو إلى الخلق الرفيع، وبمبادئه يثور على الجهل ويحض على العلم؛

لكنَّ البعض من المسلمين الذين فى قلوبهم مرض وفى فهمهم قصور ينعتون الإسلام بنعوت التخلف والرجعية ومعارضة التطور والتقدم؛ وقد أطلقوا أحكامهم المتسرّعة على الإسلام محتجين تارة ببعض الأساليب المنحرفة والممارسات البعيدة عن جوهر الدين، أو مبررين اتهاماتهم الباطلة ببعض ما يسمعونه من بعض المسلمين الجهلة الذين أخذوا يحرّمون كل ما يوجده العلم ويدعو إلى اكتشافه؛ وقد نسى هؤلاء المغرضون، وأولئك الجهلة أن القرآن الكريم كان أول

كتاب سماوى يدعو إلى اكتشاف أسرار الكون وامتلاكها فيقول: ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض، فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان﴾[1]، هذه الآية الكريمة، كما هو واضح، تحض على امتلاك طبقات السموات والأرض، واكتشاف ما فيها من أسرار وغوامض، بسلطان هو العلم من دون غيره.

ولعلّ هذه الآية وحدها ردٌّ حاسم على كل الذين يظنون أن الغرب وحده هو موطن التطور والتقدم وارتقاء سلَّم الحضارة والتمدن، وأن العرب فى ظل دينهم الإسلامى لن يستطيعوا الأخذ بأسباب الرقى والتمدن.

وبعد هذا العرض الموجز لا بد من التأكيد أن سبب تخلف المسلمين إنما يكمن فى عدم استيعابهم لجوهر دينهم فى الدرجة الأولى، وفى تفككهم السياسى الذى أفقدهم الشعور بثقة النفس، وفى فقدانهم الشعور

---

(1) سورة الرحمن ـ آية 33.

القومى الصحيح الذى يوحّد جهودهم وينظم قواهم الروحية . .

إن الإسلام لم يتخلف، إلا عندما وضع فى إطار رجعى فهو عندما جاء كان حركة تقدمية فتحت الأذهان وخلقت روح المبادرة والإبداع وشكلت حضارة علمية عم نورها الكون كله.

ولعل من المؤسف أن هؤلاء الرجعيين من المسلمين، المنتمين إلى الفرق والأحزاب الدينية، لم يعملوا على وضع الإسلام فى إطار رجعى فيما يتعلق بجمال الفكر والاستفادة بنتائج الحضارة العلمية والصناعية الحديثة والأخذ بأسبابها فحسب، بل عملوا أيضاً على وضع الإسلام فى إطار رجعى فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بوضع المرأة بوصفها تمثل نصف المجتمع؛ فقد عمد هؤلاء بجهلهم إلى الحط من قدرة المرأة وإمكانياتها العقلية والجسدية فحرموا من عملها وإنتاجها وجهادها باستعبادها ووضع القيود عليها، متجاهلين أن الإسلام

ليس دين عبودية، وليس فى القرآن الكريم ما يدعو إلى استعباد المرأة وتقييدها.

ثم إن الإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة، فهو يعتبر أن الإنسان، بغض النظر عن كونه رجلاً أم امرأة، مسؤول عن أعماله.. يسعى إلى الخير أو الشر بإرادته حتى يُحاسب ويُثاب.. وعليه فإن الإسلام لا يفرق من الناحية الإنسانية بين الرجل والمرأة.. بل إنه قد أعطى المرأة دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية.. وقد استطاعت المرأة فى الكثير من حقب التاريخ تأكيد دورها جنباً إلى جنب مع الرجل.. لكنَّ ذلك لا يعنى دعوة إلى إخراج المرأة عن طبيعتها الأنثوية وإقحامها فى ميادين عمل ليست من طبيعتها، ولا يتحملها إلا الرجل، كما حدث فى الغرب.. ولكنها دعوة كى تستعيد المرأة إنسانيتها وحقوقها الطبيعية.. ولتتحرر وتخرج نهائياً من عالم القهر والامتهان، لتؤكد احترامها حتى تمتلك إرادتها وتقرر مصيرها بإرادة حرة وفى مناخ يتيح لها نفس الفرص المتاحة لغيرها من أفراد المجتمع.

إن الوضع الذى تعيش فيه المرأة فى المجتمعات الإسلامية لا يتطابق مع ما يدعو إليه الإسلام.. فعمليات الزواج والطلاق وأكثر نواحى الشؤون الاجتماعية التى تتعلق بالمرأة مخالفة للإسلام لأنها تتم دون أخذ رأى المرأة ومشاورتها، حيث يتم استعبادها تحت شعار الدين والأخلاق.. وكأن فضيلة المرأة وكرامتها وإنسانيتها لا تتحقق إلا بحبسها وفرض الحجاب عليها! فالمسألة ليست مسألة أن تكون المرأة محجبة فحسب، فالحجاب يجب أن يتجاوز فهمنا التقليدى له، ويجب أن يفهم على أساس أنه حجاب معنوى بالدرجة الأولى، متمثلاً فى التحصن بالمعرفة السليمة والتربية الصالحة، والتدريب المستمر على مكابدة الصعاب عند الشدة. إن المرأة المتدربة على السلاح مثلاً والتى تحسن استخدامه للدفاع عن نفسها وشرفها وكرامتها، هى المرأة المحجبة فعلاً... والمرأة التى تتاح لها الفرص الكافية فى التعلم والحصول على المعرفة التى تناسبها، وتؤهلها للعمل الذى يناسبها، هى المرأة المحصنة

فعلاً... أما الحجاب بشكله المادى السطحى الآن، وبأسلوبه التقليـدى المتعارف عليـه، فهذا لا يحمى المرأة، ولا يحصّنها من اعتداء الآخرين على شرفها وكرامتها، والأدلة التاريخيـة على ذلك واضحـة فى مذبحة دير ياسين، وفى صبرا وشاتيلا، وقبل ذلك فى معتقــلات العقيلة وبنـغــازى وســرت وطــرابلس، وغيرها... إذن يجب أن تمنح المرأة الثقة الكاملة والمسؤولية الكاملة، والحقوق الكاملة أسوة بالرجل، حتى تكون محجبة ومحصنة فعلاً... والقرآن الكريم ذاته يحملها المسؤولية كاملة، والله يخاطبها مخاطبة الند للند، ﴿يا أيها الناس﴾، ولا يوجه الخطاب إلى رجل وحده أو امرأة وحدها، وليس هناك ما يدل فى القرآن على أن حساب المرأة ومسؤوليتها يختلفان عن حساب الرجل ومسؤوليته، سواءً كان ذلك فى هذه الدنيا أم فى الحياة الآخرة.

والمـرأة الحرة المسؤولـة تعلِّمُ أبنـاءهـا الحـريـة والمسؤولية، أما المرأة المستعبدة الضعيفة فلن تستطيع إلا أن تزرع الضعف والاستعباد فيمن تعلم. أمّـا

من الناحية العملية فمن حق المرأة أن تخرج وتنتج وتقود السيارة أو الجرار أو الطائرة أو تعمل فى مصنع أو مزرعة، ومن حقها أن تحمل السلاح وتقاتل وتجاهد دفاعاً عن حريتها ووطنها وعرضها. . . فالدين الإسلامى كان دائماً دين تطور وتقدم، يواكب باستمرار تقدم الإنسانية ويلبى حاجاتها الحضارية.

الإسلام دين المساواة والاشتراكية والديمقراطية:

كما أساءت القوى الرجعيَّة إلى الإسلام، فأظهرته دين تخلف وجمود، يعادى العلم، ويقف حاجزاً دون تقدم الشعوب ورقيها، فإنها شوَّهت صورته المضيئة بممارسات منحرفة، مستندة فى ذلك على تفسيرات مزاجية لكتاب الله، تبرر بها الوصول إلى غاياتها، ولو كان ذلك على حساب الناس ومصالحهم، فصار الدين الإسلامى فى عرف الكثيرين دين إقطاع واستغلال واستعباد: فالحاكم متحرر من كل قيد، فيستغل ويظلم، وينهى ويأمر، مدّعياً أن الإرادة الإلهية هى التى

ساءت له أن يكون على رأس السلطة، فقبول حكمه واجب، وعصيان أمره جريمة، والانقلاب عليه خطيئة تعادل الكفر والإشراك بالله.

ولأن الشّعوب تقلّد فى كثير من الأحيان حكامها؛ ولأن الظلم والاستعباد لا يولّدان عند الكثيرين إلا ظلماً واستعباداً آخرين، فقد انتقلت عدوى الاستغلال والاحتكار إلى المجتمع، فشاع الفساد وسادت شريعة الغاب: فرب العمل مثلاً يستغل عرق الكادحين ويسرق جهدهم، فيبنى القصور وهم معدمون فى أكواخٍ حقيرة، ثم يدعى بعد كل ذلك أن الإرادة الإلهية قد شاءت أن يَغْتنى واحد ويُعدم آخر، متجاهلاً أن السنة الإلهية تقضى بالمساواة والعدالة، فلا فضل لإنسان على آخر إلّا بما ينتجه من جهده الخاص دون استغلال لجهد الآخرين، ودون التعدى على حقوقهم وثروتهم.

وهكذا فإن الدين الإسلامى، منذ ولادته، قد وضع أسس العدالة والمساواة، ووجه كل الاهتمام على يد

النبى محمد (ﷺ) لردم الهـوة الواسعـة بين الفقراء والأغنياء، بين المستغَلين والمستغِلّين، فلم يكن غريباً إذ ذاك أن يكون الأغنياء هم أوَّل من واجه الدعوة الإسلامية ووقف فى طريقها، وأن يكون ضعفاء مكة ومضطهَدوها أول المؤمنين والمناصرين، فكان صراع طويل لم تنتهِ فصوله حتى تمت الغلبة لفقـراء مكة ومظلوميها على المحتكرين والمستغِلين، وتساوى بلال المعدم وأمية المترف. ولعلَّ القصة التى أوجزها القرآن الكريم خير شاهد على ذلك: إذ جاء رجل أعمى إلى النبى محمداً (ﷺ) وهو يدعو أكابر قريش إلى الإسلام، وقد لاح له بارقة رجاء فى ايمانهم وهم يتحدثون معه؛ فظن النبى (ﷺ) أن إقبال الرجل الأعمى ينفرهم ويقطع عليه طريق دعوتهم. فتولى عنه، ولم يكن يعلم قبل إعلام الله تعالى أن سنته فى النشر، أن يكون أول من يتبع الأنبياء فقراء الأمم دون أكابر مجرميها المترفين. ففي هذا أنزل الله هذه الآيات من سورة الأعمى: ﴿ عبسى وتولى أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى؟ أو يذّكّر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت

له تصدى. وما عليك ألّا يزّكى؟ وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى فأنت عنه تلهّى. كلا إنها تذكرة﴾[1].

من هنا فإن المسلم الحقيقى لا يستغل أحداً، ولا يكنز الذهب والفضة على حساب أحد، ولا يعتمد أى أسلوب من أساليب الربح غير المشروع، ذلك أن الفئة المتسلطة قد أوجدت لنفسها أنماطاً من التعامل الاقتصادى، لعلَّ أخطرها الربا وسيلة سريعة من وسائل الاستغلال لفئة مقهورة تضطر إلى طلب القرض لمواجهة الحاجة المرّة؛ وقد كان القرآن الكريم صريحاً فى تحريم الربا، وتوعد من يسلك سبيله عذاباً شديداً فقال: ﴿وأَخْذِهم الرّبا وقد نُهوا عنه وأكْلِهم أموال الناس بالباطل، واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أَليماً﴾[2].

ويبدو واضحاً أن هذه الآية الكريمة، وهى تنهى عن استغلال حاجة الناس بالربا، تحث فى المقابل على أن

---

(1) سورة الأعمى ـ آية 1 - 11.

(2) سورة النساء ـ آية 161.

يكون الكسب نتيجة لتبادل اقتصادى يقوم على أساس العدالة، وتحض على الكد والعمل والإنتاج بعيداً عن الاحتكار والتسلط، فتضع بذلك قاعدة أخلاقية اقتصادية سبقت جميع القواعد الاشتراكية بقرون طويلة.

وإذا كان الدين الإسلامى أول شريعة سماوية تضع قواعد ثابتة فى التعامل الاقتصادى القائم على أساس أخلاقى واضح، فإنه أيضاً كان أول من وضع قواعد الشورى الشعبية الحقة ليسبق كل النظريات الحديثة التى أوجدت ما سمى بالديمقراطية، ذلك النظام الذى زيفته أكثر أدوات الحكم المعتمدة فى العالم، فصار القرار فيها حكراً على مجلس نيابى هنا، وحزب سياسى أو طائفة أو جماعة أو عائلة هناك.

وهكذا، فإذا كانت الاشتراكية تعنى نظرياً وعملياً محاربة الترف والبذخ والإسراف، وإقامة العدالة والمساواة، وتحرير الإنسان من ربقة التبعية الاقتصادية، فإنها لا تتعارض مع الإسلام، لأنه دين حارب منذ ظهوره التبذير ودعا إلى الاعتدال، وقاتل الظلم

والظالمين، فساوى بين الناس، فلا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى، وحرّم الاستغلال والاحتكار وحض على التحرر السياسى والاقتصادى والاجتماعى ضمن قواعد ثابتة وعادلة وإنسانية صالحة لكل المجتمعات الإنسانية فى كل زمان ومكان.

وإذا كان الإسلام قد حارب الترف والمترفين، فلأن الترف يرتبط ارتباطاً حتمياً بالفساد، ويفقد صاحبه الصفات الإنسانية المثلى، فيعيث فى مجتمعه استهتاراً وظلماً؛ ولعلَّ الآية الكريمة التى تقول: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾[1] تؤكد بوضوح العلاقة الموضوعية بين حالة الغنى الفاحش وفعل الفسوق؛ إذ إن فئة المترفين، أو ما نسميها اليوم، الرأسمالية المستغلة، تتصدى دائماً للحق، ولحركة التغيير الاجتماعى، وتمارس الفساد والفجور، مستغلة نقاط الضعف فى

---

(1) سورة الإسراء - آية 16.

المجتمع المعدم، فتغوى بسلطان المال إغواءً يحقق مآربها ويشبع رغباتها، حتى إذا ما تم لها ذلك، انهارت أركان المجتمع، وتلاشت القوى الفاعلة فيه، فيكون الفساد، وتكون النهاية.

ولكى تتأكد فكرة التلازم بين الترف والانحراف السّلوكى، أورد القرآن الكريم فى كثير من آياته نماذج لرموز مترفة، كان غناها الفاحش سبباً رئيسيّاً فى تسلّطها وعَنَتِها؛ ولعلَّ أبرز هذه الرموز التى عاثت فى الأرض فساداً: قارون وأبو لهب، الأوّل عاصر النبى موسى، وآتاه الله من فضله كنوزاً لا تحصى، لكنه بغى واستبدَّ وتعالى، فقال فيه القرآن الكريم: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾[1]، أمّا أبو لهب فقد كان عم النبى محمد (ﷺ)، لكنَّ ماله أعمى بصيرته عن الحق، فواجه مع امرأته الدعوة الإسلامية بحقدٍ وتكبر، فنزلت

---

(1) سورة القصص ـ آية 76.

فيه الآية الكريمة ﴿تبَّت يدا أبى لهبٍ وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾[1].

ولأن من ﴿يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾، فقد كانت نهاية قارون وأبى لهب على قدر ما ارتكبا من مفاسد وشرور؛ أما نهاية قارون فقد صورها الله فى كتابه العزيز فقال: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾[2]، وصور نهاية أبى لهب فقال تعالى: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾[3].

وإذا كان الإسلام يعتبر الترف محرّضاً على الفساد والانحراف، فلا يعنى ذلك أن هذا الدين العظيم يحبّذ الفقر سبيلاً إلى السلوك القويم، فما أرسل النبى محمد (ﷺ) إلّا ليقيم العدل ويحقق المساواة فى مجتمعٍ استبدت به القيم الجاهليَّة، وشاعت فيه كل أسبابَ

---

(1) سورة المسد ـ آية 1 وآية 2.

(2) سورة القصص ـ آية 81.

(3) سورة المسد ـ آية 3.

الخوف؛ ولعلَّ فى قول على بن أبي طالب، أحد خلفاء المسلمين بعد الرسول محمد (ﷺ): «لو كان الفقر رجلاً لقتلته» ما يؤكد أن المسلمين الحقيقيين لم يوفروا جهداً فى مواجهة الفقر باعتباره طريقاً إلى السقوط فى متاهات الشرور والمفاسد.

الإسلام والكتاب الأخضر:

قد يتوهم البعض أن ما طرحه الكتاب الأخضر يتعارض مع المبادىء الإسلامية السامية التى نزل بها القرآن الكريم؛ ولكنَّ المتأمل فى أسس النظرية الثالثة يدرك أن الإسلام كان المنبع الأساسى الذى استمد منه الكتاب الأخضر كل قواعده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إيماناً منه أن الإسلام يحمل الطروحات التى لا بد لكل نظرية فى العالم من الأخذ بها، لأنها ليست من صنيع الإنسان؛ وهي تنسجم وتتلاءم مع الطبيعة البشرية فى كل وقت وزمان، وتتمتع بالقدرة والمرونة على إعطاء الحلول لكل محدث

وجديد. لذلك اقتدت النظرية الثالثة بالإسلام، فحاربت الظلم والعنصرية والتسلط ودعت إلى العدل والمساواة والتحرر وصولاً إلى سعادة الإنسان وخلاصه وارتقائه.

وقد يقول البعض المتوهم أن الكتاب الأخضر لم يأتِ على ذكر الإسلام صراحةً، ولم يُشِر إلى القرآن الكريم مباشرة؛ ولكنَّ الردّ على هذا الإدعاء يبدو سهلاً واضحاً فى نقطتين:

أوّلاً: عندما يؤكد الكتاب الأخضر أن «الشريعة الطبيعية لأى مجتمع هى العرف أو الدين» فإنه يدعو حتماً إلى الإسلام ويعتبر أن كل المبادىء السامية التى أتت بها الأديان السماوية، قد احتضنها الإسلام ودعا إليها؛ ولذلك فإن كل المجتمعات، وإن اختلفت أديانها، ستعود حتماً إلى الشريعة السماوية المثلى وهى الشريعة الإسلامية الخالدة، لا سيما أن الأديان السماوية قد جاءت بالحق من عند الله؛ والحق لا يتجزأ وإن تباينت أسماء الأديان التى تدعو إليه... والذى يؤكد هذا الرأى أن المسيح عيسى بن مريم (عليه

السلام) قد دعا المؤمنين به إلى الإيمان بالنبى الذى يأتى من بعده، بنص الآية الكريمة: ﴿ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾[1]؛ وكأنه بهذا القول يعلن منذ قرون طويلة أن الإسلام سيكون ديناً عالمياً شاملاً لا نقصان فيه.

ثانياً: من يزرْ ليبيا موطن الكتاب الأخضر، يلاحظ بسهولة شعاراً مرفوعاً فى كل أنحاء البلاد يقول: «القرآن شريعة المجتمع»؛ أليس فى ذلك إعلاناً واضحاً أن الشريعة التى دعا إليها الكتاب الأخضر هى الدين الإسلامى وليس غيره؟

وقد يقول البعض: ليست العبرة فى الالتزام النظرى، وإنما العبرة في تطبيق المبادىء تطبيقاً يكفل لها الاستمرارية؛ فهل طُبقت المبادىء الإسلامية على نحو سليم؟

للإجابة عن هذا التساؤل يكفى أن نسلّط الضوء

---

(1) سورة الصف - آية 6.

على موضوع الديمقراطية التى دعا الكتاب الأخضر إليها، ونتبيَّن مدى توافقها مع الديمقراطية الحقيقية التى دعا إليها الإسلام؛ لأن هذه الديمقراطية إذا نُفذت بطريقة سليمة كاملة نُفِّذ ما عداها من المبادىء، فهى منبع العدالة والمساواة والتحرر والارتقاء.

ولكنَّ لفظة «الديمقراطية» هذه تكاد تكون أول المبادىء التى طرحتها كل النظريات السياسية الحديثة والأحزاب المعاصرة؛ ولقد كانت ترادف «سلطة الشعب»، إلا أن مفهومها تبدّل، فصارت تعنى حكم الأكثرية فى كل أدوات الحكم المعتمدة فى العالم، سواء فى ذلك أكثرية مجلس نيابى، أو حزبى، أو عائلة وما شابهها، فانعدمت بالتالى سلطة الشعب، وصار القرار حكراً على فئة صغيرة ادعت أنها تمثل الأمة فى كل شأن من شؤون الحياة؛ ولهذا يعتبر الكتاب الأخضر فى فصله الأول أن المجالس النيابية والأحزاب السياسية وحكم العائلة والطائفة هى تزييف للديمقراطية الحقيقية.

أمّا الإسلام فقد كان السبّاق إلى وضع أسس العدالة وحرية الرأى والقرار انطلاقاً من تكريسه مبدأ الشورى، بنص الآية الكريمة: ﴿وأمرهم شـورى بينهم﴾؛[1]؛ ولكنَّ الدعوة إلى الشورى لا تعنى على الإطلاق تجاهلاً للأمر الإلهى فى القضايا المفصلة فى القرآن الكريم، ولا تغييباً للأمر النبوى إذا صحَّت الأحاديث وسلمت الروايات؛ وقد كان ذلك صريحاً واضحاً فى كتاب الله المبين، إذ قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3]؛ فإذا ما قرأنا الآية الكريمة التـاليـة: ﴿فـإن تنـازعتم فى شىء فـردوه إلى الله والرسول﴾[4]؛ ندرك أن مبدأ الشورى يسقط فى الأمور

(1) سورة الشورى ـ آية 38.
(2) سورة الأحزاب ـ آية 36.
(3) سورة الحشر ـ آية 7.
(4)سورة النساء ـ آية 59.

التى ذكرها القرآن الكريم أو تناولتها السنة الشريفة، ويكون المرجع فى ذلك كتاب الله وسنة نبيّه.

ولكنَّ القرآن الكريم أطلق أحكاماً عامَّة تتناول كل شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ هذه المبادىء العامة إذا تم الالتزام بجوهرها كانت معالجة التفاصيل التى لم يرد ذكرها فى القرآن تنطلق من أسس العدالة والمساواة والحرية التى مثلتها الأحكام العامة فى كتاب الله.

من هنا تنطلق أهمية الشورى قاعدةً من قواعد تبادل الرأى فى كل شأنٍ لم يرد ذكره صراحة فى القرآن الكريم. هذه القاعدة التى تحترم إنسانية الإنسان وتفتح أمامه السبيل إلى إثبات ذاتيته من خلال ما يطرحه من آراء تتعلق بشؤون حياته وأحوال مجتمعه.

لذلك طرح الكتاب الأخضر قاعدة الشورى، وطرح أسلوباً عملياً بديعاً فى كيفية ممارستها على أرض الواقع، فيقسّم المسلمون فى أى قطر إسلامى

أنفسهم إلى مجموعات عددية صغيرة بحكم الإقامة، ويجتمعون ويناقشون كل أمور حياتهم العامة، المتعلق منها بالسياسة الداخلية والخارجية، وما هو متعلق منها بالأمور الحياتية الاقتصادية وكيفية تطوير الإنتاج وتوزيعه بالتساوى بين الناس وكل ما يتعلق بالخدمات التى تخص القرية أو المدينة أو الدولة الإسلامية بكاملها. . وبذلك تتجسد عملياً الآية الكريمة ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فكل أمور المسلمين تناقش بالتشاور وحرية الرأى فيما بينهم من خلال فكرة المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية التى طرحها الكتاب الأخضر فى فصله الأول.

وقد رأى الكتاب الأخضر أن أحسن تطبيق لمبدأ الشورى هو قيام المؤتمرات الشعبية والنقابات والروابط والاتحادات المهنية، فيتمكن الشعب إذ ذاك من تبادل الآراء، ليكون الرأى الأكثر إيجابية ومنطقاً وحُجَّةً هو الرأى الذى ينتصر على كل الآراء. . . ولعلَّ فى توزيع أفراد الشعب، أى شعب من الشعوب، إلى مؤتمرات شعبية أساسية فى كل القرى والمدن، للتشاور فى

شئونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ليتخذ القرارات المناسبة، ثم يختار ويصعد لجاناً شعبية لتنفيذ تلك القرارات، لعله فى ذلك يطبق مبدأ الشورى فى وجهها الصحيح.

وما يقال عن مبدأ الشورى، يقال عن القواعد الإسلامية فى الاقتصاد فى مواجهة كل النظريات الاقتصادية التى أوجدتها أدوات الحكم المعاصرة. فإذا ما قورن النظام الاقتصادى الإسلامى بالاشتراكية الماركسية، نجد أنه يختلف عنها اختلافاً بيناً فى أمر مهم، وهو أن الاشتراكية المعتمدة فى أكثر دول العالم لا تحاسب الفرد على «الكيف» وإنما تحاسبه على «الكم»؛ ولكن الإسلام ينهى عن اكتناز الذهب وسرقة عرق الآخرين وجهدهم، كما ينهى عن الإسراف والتبذير واحتكار حاجات الناس، والانغماس فى حياة مترفة على حساب الفقراء. . . . وقد توضحت هذه القواعد بأقوال الرسول: «الناس سواسية كأسنان المشط» و «ليس منا من مات وهو شبعان وجاره جائع»

و«من كان له فضل زاد فليرده على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهر فليرده على من لا ظهر له».

وإذا كان الإسلام لا يلغى الملكية الخاصة، إلا أنه فى الوقت نفسه يحدد الكيفية التى تصح الملكية على أساسها؛ فهى باطلة ساقطة إذا بنيت على أسس تتنافى مع تعاليم الإسلامى وعدالته.

فإذا ما تأملنا فى اشتراكية الكتاب الأخضر نلاحظها مختلفة عن كل الاشتراكيات المعتمدة فى أنحاء كثيرة من العالم؛ فهى مختلفة لأنها نظام يحاسب على «الكم» و «الكيف» فلا اكتناز للمال على حساب الناس ومصالحهم، ولا ثروة تقوم على أساس الظلم والاحتكار والاستغلال؛ وإنما الناس سواسية على أساس مبدأ شامل هو: «شركاء لا أجراء».

وما يقال عن مبدأ الشورى والنظام الاقتصادى اللذين يدعو إليهما الكتاب الأخضر، يقال أيضاً عن شؤون كثيرة اتفقت فى جوهرها مع الدين الإسلامى؛ فالتعليم

والمرأة والأسرة وغيرها من الموضوعات التى طرحها الكتاب الأخضر تنسجم فى طرحها كلياً مع الإسلام، لأن طرحها كان على أساس النظام الجماهيرى الذى ينتفى فيه الاستغلال والاستعباد، وتتحقق فيه الحرية والعدالة والمساواة.

الإسلام والجهاد:

حاولت القوى الرجعية فى سياق حصرها الإسلام فى إطار التخلف، وتفسير القرآن الكريم تفسيراً رجعياً لا يتفق مع جوهره التقدمى الحقيقى، تغييب فريضة الجهاد تغييباً كاملاً يخدم مصالحها الاستغلالية؛ فراحت تنادى بالخضوع للأنظمة القائمة، مدعية بأن الله يوصى بطاعة أولى الأمر؛ ووصل الأمر بها إلى حد دعوتها إلى مهادنة الاستعمار والمحتل محتجة بخبث ظاهر بقوله تعالى: ﴿وإن جنِحوا للسلم فاجنح لها﴾[1].

---

(1) سورة الأنفال ـ آية 16.

ولا شك أن هذه المحاولات ترمى فى حقيقتها إلى تصوير الدين الإسلامى على أنه دين تواكل وخنوع واستسلام، بالرغم من الآيات الكثيرة التى تدعو صراحة إلى الجهاد سبيلاً وحيداً لمواجهة الذين يستهدفون إذلال المسلمين واحتلال أرضهم، وتفتيتهم، وزرع بذور الشقاق بينهم، حيث يقول تعالى: ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾[1]، ويقول: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[2]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾[3] ويقول: ﴿وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[4]،

وهذا يعنى أن المسلم الحقيقى، فى نظر القرآن،

---

(1) سورة الأنفال - آية 65.

(2) سورة الأنفال - آية 60.

(3) سورة التوبة - آية 36.

(4) سورة التوبة - آية 42.

هو الذى يأبى الظلم ولا يستكين لظالم، فيشهر سيفه ضد أعداء الإسلام... ولا يقبل القرآن بموجب آياته الواضحة الصريحة مظاهرة الأعداء والتودد إليهم وتوقيع الاتفاقيات المذلة للمسلمين تحت ستار السلام إلا ضمن شروط عادلة ومنصفة للمسلمين وللدين الإسلامى على حد سواء، منها:

أولاً: أن يجنح الأعداء إلى السلم من دون أن يكونوا محتلين أو مسيطرين على أى قطعة من أراضى الأمة العربية أو الإسلامية.. ومن دون أن يقفوا فى وجه الإسلام ويشنوا ضده الحملات الدعائية الكاذبة.

ثانياً: إذا استجار أحد الأعداء المشركين بالعرب والمسلمين وجاء ذليلاً يطلب الرحمة والحماية، إذ يقول الله تعالى: ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله..﴾[1]

---

(1) سورة التوبة ـ آية 6.

ثالثاً: إذا لم يسىء أى عدو من الأعداء إلى المسلمين فى دينهم أو عرضهم أو أرضهم، وطلب توقيع معاهدة عدم اعتداء؛ وفى هذه الحالة يحرم القرآن مقاتلته إلا إذا نقض العهد ونكثه.. يقول القرآن الكريم: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾[1].

من هنا، فإن الإسلام لا يقر على الإطلاق توقيع أية اتفاقية سلام أو عدم اعتداء مع الصهاينة، لأنهم يحتلون أرضاً عربية إسلامية بالغزو، هى فلسطين.. ولأنهم أخرجوا العرب المسلمين من ديارهم وهم الفلسطينيون.. ولأن الصهاينة لا يزالون يشنون العمليات العدوانية ضد الأمة العربية بهدف احتلال المزيد من الأراضى العربية لتنفيذ مخططهم الرامى إلى إقامة ما يسمى بإسرائيل الكبرى الممتدة فى نظرهم من الفرات إلى النيل.

---

(1) سورة التوبة ـ آية 4.

والإسلام لا يقر كذلك التودد إلى القوى الاستعمارية الصليبية ومهادنتها والركون إلى وعودها ومواثيقها ما دامت تعمل على إذلال العرب المسلمين وإخضاعهم ونهب ثرواتهم.

وأى عربى أو مسلم يحاول مد يده للصهاينة أو الصليبيين أعداء الإسلام والعروبة يعتبر خائناً، لأنه بمثابة المتولى يوم الزحف.... والتولى يوم الزحف يعد فى الإسلام من الموبقات السبع الكبرى... والصحيح أن تحشد الأمة العربية والإسلامية كل طاقاتهما وإمكانياتهما الاقتصادية والعسكرية والبشرية وإعلان الجهاد ضد الصهيونية والصليبية.. لأنْ الله يريد العرب والمسلمين أعزاء أقوياء ففى عزتهم وقوتهم عزة الإسلام وقوته.

ولا بد من إثارة نقطة مهمّة متعلقة بمفهوم الجهاد فى الإسلام كان التبس على الكثيرين فهمها واستيعاب مدلولاتها وهى أن الجهاد فى الإسلام لا يحمل فى أى وجه من وجوهه النضالية روح التعدي... فليس من

الجهاد فى شىء أن تستعمل ما تملك من وسائل الإكراه لتفرض على الآخرين عقيدتك الإسلامية، وليس من الجهاد فى شىء أن تنطلق من روح استعمارية لتكون لك الهيمنة المادية التى تسهل عليك فرض ما تعتنقه على الآخرين؛ فاعتماد القوة والعنف سبيلين إلى نشر عقيدة ما، يدل دلالة واضحة على أن هذه العقيدة قد أفلست من داخلها، وفقدت القوة فى مبادئها، وبالتالى فهى تحتاجٍ إلى أداة خارجة عنها تستعبد كل العقائد لتكون بديلاً عنها بالقوة والقهر. . . أما الإسلام ففيه من قوة الإقناع وثبات الحجة ما يغنى الداعى إليه عن استخدام الأساليب الشاذة التى أعطت التبرير للكثيرين لاعتباره دين العنف والإرهاب.

لقد دعا الله سبحانه وتعالى فى كثير من آيات القرآن إلى اعتماد الحوار الهادىء المتزن، وتجنب أى شكل من أشكال الإكراه سبيلاً إلى نشر الدين الإسلامى العظيم، فقال تعالى مخاطباً نبيّه:

﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب، والأميين أأسلمتم، فإن

أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكـره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[2].

ويؤكد سبحانه في آية صريحة فيقول: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾[3].

وبعد فإن وضوح هذه الآيات يغني عن الإسهاب في الشرح والتفصيل، ولعلها جاءت في هذه الصورة من اليسر في الألفاظ والسهولة في المعنى ليكون الالتزام بها كاملاً فلا توحي بتأويل يُشوه الحقيقة ويسيء إلى الدين العظيم.

---

(1) سورة آل عمران ـ آية 20.

(2) سورة يونس ـ آية 99.

(3) سورة البقرة ـ آية 256.

الإسلام والقومية العربية:

إن القوى الرجعية لم تعمل فقط على إفراغ الإسلام من محتواه التقدمي والجهادي، بل سعت إلى تصوير القومية العربية معارضة للإسلام، الأمر الذي يؤدي إلى فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية، وصولاً إلى إضعاف العرب وتفتيتهم خدمة للقوى الاستعمارية التي تجهد في أن يكون العرب مشتتين، فتسهل السيطرة عليهم.

ولكي تنجلي حقيقة العلاقة بين القومية العربية والإسلام، لا بد من التركيز على الأمور الآتية:

أولاً: يفهم من واقع القرآن الكريم أن المسؤولية التاريخية في قضية الإسلام تقع على كاهل العرب في المقام الأول، وأن الأمة العربية هي المعنية بالإسلام في الدرجة الأولى؛ فالقرآن جاء بلسان عربي، والرسول محمد (ﷺ) عربي، والدعوة الإسلامية المباركة ابتدأت بالعرب مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وانذر عشيرتك

الأقربين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾[2]؛ وهذا يُعتبر تشريفاً للعرب لأن الإسلام خاطبهم بلسانهم وأكد على هذا اللسان وحفظه بالقرآن الكريم إلى يوم الدين.

ثانياً: إن النبى محمداً (ﷺ) لم يبعث إلى عشيرته وأم القرى ومن حولها فقط، وإنما كلفه الله تبليغ الرسالة السماوية إلى الناس كافة، وإن اختلفت أجناسهم وتباينت ألوانهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[4]؛ ولعلّ هذا ما تم تأكيده تحت عنوان «عالمية الإسلام»؛ ولهذا صار المعيار الأوّل للتقرّب إلى الله هو التقوى والإيمان،

---

(1) سورة الشعراء - آية 214.
(2) سورة الشورى - آية 7.
(3) سورة سبأ آية 28.
(4) سورة الأنبياء - آية 107.

وليس العرق أو اللون، إذ لم تردع عروبة أبى لهب وأبى جهل مثلاً عن الغواية والضلال، ولم تمنع رومية صهيب الرومى، ولا قومية بلال الحبشى وسلمان الفارسى من الإيمان بالإسلام ومناصرة النبى (ﷺ).

ثالثاً: إذا كان الإسلام قد نزل إلى الناس كافة، فذلك لا يعنى على الإطلاق تجاهل حقيقة كانت ولا تزال من الحقائق الثابتة، وهى أن الإسلام لم ينطلق من حدوده الضيقة فى الجزيرة العربية إلى كافة الآفاق إلا لأن العرب كانوا من القوة المادية والفكرية بحيث تمكنوا من استيعاب كل خصوصيات الأمم المحيطة بهم مما يسر لهم نشر الدين الإسلامى بصورة سريعة.

لذلك فإن أى تفكير فى انبعاث إسلامى بمعزل عن إسهام العرب فيه، هو سلوك مشوّه لا قيمة له، وعمل فاشل متعثر، وهذا المعنى أكَّده عمر بن الخطاب نفسه رضى الله عنه عندما قال: «نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام وأعز الإسلام بنا، فإذا طلبنا العزَّة بغير ذلك أذلّنا الله».

ومن ناحية ثانية فإن الانبعاث الإسلامى بدون العرب متحدين فى دولة قومية عـربية واحـدة، سيلقى من الصعوبة ما يجعل انتشاره عسيراً لما للعرب من التأثير الأعظم الذى يتجسد فى التصاقهم التاريخى بالإسلام، وفى لسانهم العربى الذى هو لسان القرآن المبين.

لذلك فإن أى محاولة للانبعاث الإسلامى لا بد أن تضع فى اعتبارها تحريك العرب والنهوض بهم لخطير شأنهم وقوة تأثيرهم. ولعلَّ ما تحدث به النبى الكريم ما يؤكد هذا المعنى إذ قال: «إذا ذل العرب ذل الإسلام».

وعلى هذا فإن العامل الدينى والعامل القومى، تبعاً للترابط العضوى بينهما، يحركان التاريخ ويؤثران تأثيراً مباشراً فى تكوين الأمم سلباً وإيجاباً. وكانا وما يزالان السبب فى كل التحولات التاريخية الكبيرة. بمعنى أن التاريخ يصنعه ويحركه هذا العامل الفكرى للقوميـة والدين.

وخريطة العالم اليوم، لو تم وضعها ودراستها سيجد

المرء أن أسباب الوحدات السياسية الموجودة فيها قومية دينية من حيث المضمون الفكرى لهذين العـاملين؛ والحركات السياسية تتأثر كلياً بهذا المضمون، فتكون أحياناً قومية وأخرى دينية، الأمر الذى يؤثر تأثيراً مباشراً فى تشكيل خريطة العالم السياسية، والتى تتغير وتتبدل من عصر إلى عصر بسبب الصراع بين القوميـات، وبسبب عدم تطابق العاملين الدينى والقومى.

ولا شك أن هذا يدحض بالدليل العلمى والعملى المقولة الماركسية بأن العامل الاقتصادى هو المحرك الأساسى للتاريخ وكل ما عداه عوامل ثانوية؛ والحقيقة أن العامل الاقتصادى قد يقوى ويضعف حسب الشروط التاريخية، وحسب الفكر الذى انبثق عنه هذا العامل؛ وقد يكون للعامل الاقتصادى دور، ولكنه ليس المحرك الأساسى للتاريخ.

ويستنتج من كل هـذا، أن الإسلام فى حقيقتـه الصافية قد نشأ عن قلب العروبة، وساير تاريخها،

وامتزج بها فى أزهى أدواره، فلا يمكن أن يكون هناك اصطدام بينه وبين القومية؛ فهو جزء مهم مغذٍ لها، ومفصح عن أهم نواحيها الروحية المثاليـة، وسيبقى الدين الإسلامى ورسالة القرآن إلى الأبد، بالرغم من الحـاقدين، دين التقـدم والعلم والجهاد، يستـوعب جميع الشعوب والقوميات محافظاً على خصوصيات كل منها.

الخاتمة

الدين ضرورة

إن الاهتمام الكبير الذى توليه ثورة الفاتح العظيم لمسألة الدين يعود إلى أهمية الدين فى حياة الإنسان. إذ لا حياة بلا دين.. حتى الذين لا يؤمنون بدين سماوى نجدهم يستلهمون لأنفسهم ديناً وضعياً، وهذا يبين لنا بجلاء أن الدين ضرورة حياتية، وأن الحياة لا تستقيم بدونه.. فالدين ضرورة، بغض النظر عن الإيمان به أولاً، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو على مستوى الدولة..

إن أى أمة تحتاج إلى مرجع تحدد على أساسه

الحق والباطل.. الخير والشر. الحـلال والحرام.. الصحيح والخطأ. الحقوق والواجبات، وعندما يكون هذا المرجع دستوراً وضعياً فإنه يفتقر إلى قوة الإقناع والاحترام والقدسية، لأنه يحتاج أولاً إلى مرجع آخر يستنـــد إليه ويبـــرره حتى يضفى عليـــه الاحتـــرام والقدسية.... ولأنه قابل ثانياً للحذف والتعديل والإلغاء والتبديل لسدّ الثغرات التى قد تظهر فيه مراعاة لأمزجة الأنظمة السياسية المتلاحقة ومصالحها، ذلك أن كل نظام سياسى يريد أن يكون الدستور ملبياً لحاجاتـه ومبرراً لسلوكه ونهجه، حتى ولو كان نهجاً ديكتاتورياً دموياً، ولكن عندما يكون شريعة المجتمع هو الدين أو العرف الذى يرقى إلى قوة الدين، فإن كل الناس سوف تتقبل أحكامه بلا جدل أو شك أو خلاف.. ويستحيل على أى نظام سياسى أن يغير فيه شيئاً أو يحذف أو يضيف، نظراً لما للدين من قدسية واحترام.. ونظراً لأنه المرجع الوحيد الذى يتفق عليه الجميع.

أما على مستوى الفرد فإن للدين أيضاً ضرورتـه

القصوى.. فبدون دين تصبح حياة الإنسان بلا معنى تماماً كحياة سائر الكائنات الأخرى.. ومن لا دين له لا أخلاق له.. إذن الدين هو مصدر الإلزام الأخلاقى لكل فرد، والذي لا دين له، ليس لديه مصدر للإلزام الأخلاقى.. فكيف يُمكن الثقة فى إنسان لا دين له؟.. ما هو الوازع الذى يدفعه إلى الوفاء بوعده؟.. وما هو الوازع الذى يجعله يصدق القول؟.. وما هو الوازع الذى يبعده عن خيانة العهد؟

فقد يقول قائل إن المجتمع يمكن أن يكون مصدراً للإلزام الأخلاقى.. فالإنسان يصدق القول خوفاً من المجتمع.. ويفى بوعده خوفاً من المجتمع.. ولا يخون خوفاً من المجتمع.. ولكن المجتمع لا يمكن أن يكون مصدراً للإلزام الأخلاقى، فالإنسان يستطيع أن يخدع المجتمع.. ويستطيع أن يتوارى وينعزل عنه.

وقد يقول قائل إن القانون يصلح أن يكون مصدراً للإلزام الأخلاقى.. ولكن المرء يستطيع أيضاً أن

يتحايل على القانون ويخدعه.. وهنا يصبح الإنسان وحشاً تسيّره غريزته الحيوانية.

إذن ليس هناك من مصدر غير الدين له قوة الإلزام الأخلاقى.. فالدين هو ضمير الإنسان.. فعندما يكون المرء ملتزماً دينه متمسكاً بأوامره وتعليماته.. فإنه يسلك نفس السلوك الأخلاقى.. ويفعل الخير ويتجنب أفعال الشر، سواء كان أمام الناس أو بمعزل عنهم.. لأنه يخاف الله ويعلم أنه سيحاسب فى يوم من الأيام أمامه.

والدين، بالإضافة إلى أنه يشكل ضمير الإنسان وذمته، فإنه أيضاً مصدر للراحة والاستقرار فى المجتمع.. فالمجتمعات المتدينة، هى أقل المجتمعات معرفة بالجرائم وعمليات الانتحار، وما إلى ذلك من الجرائم التى هى سمة من سمات المجتمعات التى تطغى فيها الجوانب المادية.

والأديان السماوية، إلى جانب كل ذلك تعتبر

المصدر الأساسى للمعرفة.. فهى التى تجيب عن كل الأسئلة التى تدور فى ذهن الإنسان عن كل ما هو غيبى غير محسوس: عن بداية الخلق ونهايته.. عن الكينونة والصيرورة.. عن سر الحياة والموت وما إلى ذلك.

وبناءً على هذه الحقائق جميعها، فإن الدين ضرورة للفرد والمجتمع، بل هو فى منظور ثورة الفاتح العظيم، وكما هو وارد فى النظرية العالمية الثالثة، أحد العوامل الأساسية المحركة للتاريخ.

من هنا أولت ثورة الفاتح العظيم منذ أول يوم تفجرها أهمية كبيرة للدين الإسلامى.. وقامت بإحداث ثورة إسلامية صححت كل المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وخلصته من الإسرائيليات والممارسات المنحرفة والجمود.. وأعلنت أن الإسلام هو إسلام الفكر والعمل والاشتراكية والتقدم، وليس إسلام الجوارى والإسراف واكتناز الأموال واستعباد الناس واستغلالهم.. كل هذا كى يعود للدين الإسلامى صورته الحقيقية المشرقة.

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.
2 ـ سلسلة «السجل القومى» بيانات وخطب وأحاديث المفكر معمر القذافى. (من المجلد السنوى الأول حتى المجلد السنوى التاسع عشر).
3 ـ الكتاب الأخضر.

فهرس

هــذا الكتـــاب

دراسة من خلال القـرآن الـكريم لجملـة قضـايا توقف عندها المسلمـون طويلاً.

* كيف فُهم الجهاد فى سبيل الله من خلال القرآن؟
* الشـورى: هل هى لخاصـة النــاس من المسلمــين، أم للمسلمين كافة؟
* الحجاب: هل هو حجاب الروح أم حجاب الجسد؟ هل هو مادى أم معنوى؟
* هل فى الإسلام مذاهب وطوائف وأحزاب دينية؟
* الإسلام والعرب ـ الدين والقومية ـ كيف أعـز الله العرب بالإسلام وأعزه بهم؟

أسئلة كثيرة غيرهـا تشغـل بال المسلـم. كيف كانـت الإجابة عليها؟

إن القرآن فيه بيان كافٍ للناس.

الناشر



المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 40705 - 45565 - 45594

مبرق: GREEN BOOK 20668 - 20032

ص. ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية

دينار ليبى أو ما يعادله